سلسلة جناح الرحمة

الزائرة الفاتنة

(قصص: اجتماعية - تربوية)

رقية سليمان الهويريني

obeikan.com

ح رقية سليمان علي الهويريني، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الهويريني، رقية سليمان علي
سلسلة: جناح الرحمة/ الزائرة الفاتنة./ رقية سليمان علي الهويريني.
- الرياض، ١٤٣٠هـ
٢٢٠ص؛ ١٤ × ١٢سم
ردمك: ٦-١٧٨٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- القصص القصيرة العربية - السعودية أ- العنوان
ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ١٤٣٠/ ٥٢

رقم الإيداع: ١٤٣٠/ ٥٢
ردمك: ٦-١٧٨٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلفة

obeikan.com

obeikan.com

الموضوع	الصفحة
الإهـــداء	٧
الزائـرة الفاتنـة	٩
ارفعـوا القبعـات	١٧
و... وجد إنسانيته	٢٥
الأسهم الموجعـة	٣١
كمامـات الفجـر	٣٧
مَنْ يُضـيء المصباح؟!	٤٣
الطبق الشَّـرِّي!!	٤٩
الأعشـاش الخاليـة	٥٥
التشريف المبكـر	٦١
ساعـة أم أحمـد	٦٩
عبـاءة الوزيـر	٧٧
الطابـور الثانـي	٨٣

obeikan.com

الموضوع	الصفحة
إدارة شؤون الزير	٨٩
لِمَ يا بُني؟!!	٩٥
الرِّهان	١٠١
الراتب الطائر	١٠٩
سنوات العطاء	١١٧
الدرس الجميل	١٢٥
كُنتُ مُديرة	١٣٣
وسام الاستحقاق	١٤١
احتراق معلمة	١٤٩
وانطفأ السراج	١٥٥
كوني لي أُمَّاً	١٦٥
حياة	١٧٣
نجلاء!!	١٨١
الوجه الجميل	١٨٧
و... مهام أخرى	١٩٥
وغابت شمس أحلام	٢٠١
وما أدراك ما السلوك	٢٠٩
ليس حُلُماً	٢١٧

obeikan.com

الإهداء

لاثنين هما سبب في وجودي..

تعهدا رعايتي وتربيـتي

وبرحيلهما تعاهدني الحزن..

وواحد تحمـّل مشاكستي

وتحملت همومه..

إلى: والديَّ،

و.... وطني!!

obeikan.com

الزائرة
الفاتنة!!

obeikan.com

obeikan.com

لـم أدرك حين كنـت أدرس في مدارس التعليم العـام أن الواقع الذي نعيشـه غير المنهج الذي ندرسـه، فقد درست وتعلمت بل كنتُ متفوقة في دراستـي. تعلمـت وأدركت عظمة الخالـق عز وجل وإخلاصـ العبادة لله وحده، والإيمان بالقضاء والقدر بل والرضا فيما قدرَّه الله تعالى.

ومرت السنـون وتزوجتُ رجلاً عشتُ معه سنيـن جميلة، أنجبت فيها ابنتي الأولى ثم الثانية والثالثة تباعاً، ففي كل عامٍ تستقبل الأسرة مولودة، وكنـت خلالها أرقب في عيني زوجي رغبتـه الملِحَّة في إنجاب ذكر يحمل اسمه، وكأن الاسم لا بد أن يحمله آخر غيرك!!

تغير زوجي وبدأ يتعامل معي بأسلوبٍ ينقصه الحب والاحترام عندما أنجبـتُ ابنتي الرابعة، وكانت آية في الجمال! كبرت فكانت صورتها تحكي كل معاني البراءة والطهر.

obeikan.com

في العام الرابع عشر لزواجنا حملت للمرة الثامنة وابنتي السابعة لم تبلغ شهرها الثالث بعد! وعصفت بي أمراضٌ كثيرة كان الضغط والسكر أبرزها فضلاً عن هشاشة العظام التي زارتني باكراً وعمري لم يتجاوز أربعاً وثلاثين سنة، وعدا عن كون رحلة الحمل هذه وهناً على وهنٍ فقد تحولت لرحلة عذابٍ نفسي وتهديدٍ دائمٍ من زوجي الذي ازداد جبروتاً وغلظة في التعامل معي ومع بناتي السبع على الرغم أن الله قد أنعم عليه بنعمة الصحة والمال إلا أنه يضيّق الخناق علينا! وبرغم كوني امرأة عاملة وأصرف مرتبي كاملاً على بناتي وبيتي إلا أننا نوشك أن نعد من الفقراء!!

ثقل الحمل في الأشهر الأخيرة وصاحبته الأمراض فسقطت بعض أسناني أو أصابها التسوس من جراء نقص الكالسيوم الذي استهلكته خلال الحمل المتواصل لعدة سنوات، كما ضعف نظري كثيراً، وتحول لون شعري إلى اللون الرمادي كحياتي! بل هو أفتح منها قليلاً!!

لم أعترض قط على ما وهبني الله من البنات، فقد كنت أمارس حياتي كأم وصديقة لبناتي! بل إنني كثيراً ما أحمد الله على ما وهبني من نعمة الإنجاب أولاً ثم ممارسة الأمومة ثانياً، وتبقى ثالثاً ورابعاً المتعة التي أجدها في الحديث معهن حين ينقلن لي أخبار المدرسة وأحاديث صديقاتهن ومداعباتهن لمعلماتهن فقد وهبهن الله خفة في الدم وجمالاً في الروح!

وما كنت لدينا حين نتحلق ونضع القهوة والحلا مساءً ونجتمع سوياً لا يقطع حديثنا إلا صراخ إحدى الصغيرات وقد أغلقت أختها دونها باباً أو

تشاجـرت معها عند لعبة!! وإن كان الناس يؤلفون ويروون الطرف والنكت فنحن نعايشها يومياً!

تستطيع حينما ترى حياتنا أن تنعتها بالانبساط ولكنك أبداً لن تصفنا بالسعداء!فنحن وإن كنا (أنا والبنات) في حالة سرور إلا أنه ما أن يحضر (السيد) إلا وتجد البنات يتقافزن متفرقات هلعات، فهو على الدوام عابس مكفهر متبرم ناقم. عجباً.. كيف ينقم على نعمة؟!

اقتـرب موعد الولادة، وبدأ التوتر يظهر في أجواء الأسرة، ولم أجرؤ على الكشف لمعرفة جنـس المولود، فأوكلت أمري لله، فأنا لا أود استباق الأحداث... شعرت البنـات بناقوس الخطر يدق في أركان بيتنا من جراء تهديـد والدهن لي بالطلاق تارة وبالزواج من ثانية تارة أخرى، بل وتعدى الأمر إلى التهديد بالطرد من المنـزل إن أنجبت بنتاً!! وعاشت البنات في قلق ونقلن معاناتهن لصديقاتهن في المدرسة وامتد ذلك القلق لأسرهن إشفاقاً على وضعنا!!

وحيـن حلت الامتحانات... كنـت في الأيام الأخيرة مـن الحمل، مما استدعى زوجي إلى إرغامي على الذهاب للمستشفى بدعوى تأخر الوضع، وكان! حيـث استخدمت في الولادة (الطلق الصناعي) مما أنهك قواي... ولكنني أخيراً وضعت.

وضعتها أنثى.. الثامنة، جميلة، بل فاتنة.. سليمة من العاهات. وحين علـم زوجي بذلك لم يتمالك نفسه فخـرج من المستشفى غاضباً ساخطاً وترك بناتـه في مدارسهن ينتظرنه للعودة للمنـزل بعد انتهاء الامتحان، وتركني أعاني آلام الوضع والحيرة.

وأخيـراً عـادت البنات بصحبـة زميلاتهن، بينما أنا فـي المستشفى أرقـب عودتـه لتسجيل الصغيرة وإثبات ولادتها حيـث لا توجد معي أوراق رسمية! ورجع زوجي بعد يومين وأعادني إلى منـزلي بعد إنهاء الإجراءات، وكان يشتم ويسب، وكنت أصبر وأحتسب!

عـدت إلى منـزلـي بصحبة مولودتي سلوى، فأورقـت أغصان البنات واستأنفـن المذاكـرة فكلهن متفوقات دراسياً، ولكـن القلق أخذ يساورني على مستقبلهن، إلا أنني عدت إلى المنهج الرباني مؤمنة بالقضاء والقدر، والرضا به.

تستكمـل السيدة الصابرة حديثها وتقول: (لم يكن وجود طفل صغير فـي المنـزل شيئاً مستغربـاً فنحن ما نكاد نودع السنة الأولى من حياته إلا ونستقبـل طفلاً آخر! لم نصل بالطبع إلـى تكوين فريق كفريق كرة القدم فلا زلنا بحاجةٍ لمدافع أو أكثر. أما المهاجم فمتواجد طوال الوقت يسجل أهدافاً موجعة على فريقه!!

والعجيـب أن سلوى تستقبله.. ترفـع شماغه عن رأسه، تداعبه، تقبِّل يـده، ولكنه يقابل ذلك اللطـف بجفاء وغلظة، وكثيراً مـا يعنفها، ويتمتم بكلمـاتٍ ساخطة ومكـررة: (اللّه لا يكثركن عند الصديـق)!! وإن كان من المعتادِ أن يكون الأب الذي لديه بنات أكثر لطفاً وحناناً ممن لديه ذكور إلا أن هذا الأب لم يستشعر الأجر لمن يعيل ابنتين فكيف بثمان؟!ولم يستمتع قـط بهذا الجو الأسري الآسـر وبلطف بناته وحنانهن!ولـم يُقدِّر كونه أباً ومسـؤولاً عن أسرته حين أحال حياة الأسرة إلى قلقٍ وتوتر، عدا اضطهاد زوجتـه بالتهكم بلفظ (أم البنات) وكأنها وصمة عار!! ومع ذلك كنا نقنع أنفسنا بأن حياتنا... ممتعة.. جميلة!!

وجود سلوى في منـزلنا أضفى على حياتنا الهدوء النسبي والدعة، فقد كبرت البنـات واستكملن دراستهن في تخصصات مختلفة. عدا (سلوى) في الصف الثالث الثانوي، وهي الصغرى حيث لم أنجب بعدها لأن زوجي كـف عن المطالبة! بعد أن اعترته أمراض مختلفة فلم يعد يفكر بإنجاب المزيد!فضـلاً أن صحتـي لا تسعفني لمواصلة الإنجـاب. ولم ينفذ زوجي تهديداته، وانغمس في العمل التجاري وجمع الأموال!!

وقلَّـت حِدتـه وأصبح هادئاً بعـد أن تكالبـت عليه الأسقـام، وأصيب بمرض يستدعـي نقل مادة مـن النخاع الشوكي حيث توقـف عن الحركة تماماً، وكثـرت مراجعاته للمستشفى، فتقاعدت عـن العمل لأصحبه عند كل مراجعـة. واستدعى الأمر التبـرع له من أحد أقاربـه، فذهبنا جميعاً للمستشفى لعمل اختبار لمعرفـة مدى ملائمة السائل لجسمه... وكانت.. (سلـوى)!! هـي.. التـي أثبتـت الاختبـارات والتحاليـل مطابقتهـا تماماً للمطلوب!! وخضعت لعملية نقل جزءٍ من النخاع لإنقاذ والدها..

باقٍ من الحزنِ أضعاف الذي ذهبا..

لا الجوع دهرٌ ولا كلّ الفصولِ صِبا!!

وحيـث لـم تكن (سلـوى) من أهل الدنيـا... فقد فارقـت الحياة بعد إجراء العملية!!

غادرتْ الدنيا، بصراعاتها، وآلامها، وقلقها...

تركتهـا لنـا ورحلـتْ... بعـد أن أودعت في كبـدي وسماً مـن الألم لا ينمحـي... وفـي قلبي جرحـاً لا يندمل.. وفي عيني دمعـة متجمدة!! حين كنـت أراها بين أخواتها تتفجر نشاطـاً وحركة، وتضج حيوية وإقبالاً على الدنيـا بجمالها الأخاذ وذكائها الوقاد عدا عـن تفوقها الدراسي وقدرتها

علـى التعامل الرائع مع والدها ومعي ومع الناس... حين كنت أرقبها وهي كذلك ينقبض قلبي.. ويعاودني إحساس قديم لا يكذب!! بل يتجدد!!

كنت أدرك أنها ليست الثامنة بل.. الزائرة!!

جاءت.. لتوقف تيار الألم، وتزرع الأمل، وتلّون حياتي بالتفاؤل..

جـاءت.. وكأن قدومها هبة من الله لوالدهـا لتستمر به الحياة.. وهو (الساخط على مجيئها)..

جاءت.. لتمسح شقاء السنين..

ورحلت.. لتجعلني أعاني لوحدي الشقاء والبؤس بدونها!!

جاءت (سلوى) لحكمة..

ورحلت لعِبرة..

obeikan.com

ارفعوا
القبعات!

obeikan.com

obeikan.com

في المدرسة وخارجها، تجري الفتياتُ بلا هدف، قلقٌ في النهار، وفي الليـل أرق! شكوى وتذمر، شعـورٌ بالظلمِ من قبل الأسـرة والمعلمات وكل مـن حولهن! يسعين للحصول على كماليات مـا أن تصل إلى أيديهن حتى يُشحن بوجوههـن عنها!صداقات متعـددة وشخصيـات متذبذبة، يعشن الحيـرة بكلِّ تعرجاتها! تقودهن للتذبذب بشتـى طرقه! في مرحلةٍ حرجةٍ من أعمارهن تُدعى «مرحلة المراهقة».

من بعيد.. في مكانٍ غير المدرسة، بل هو بعيدٌ عن الجو المدرسي، لا نظـام يحكمه.. إن شئت أطلق عليه مسمـى مخيم أو منتجع، كما يحلو لنا أن نضـع تسميـاتٍ متعددة لمعنى واحد!! في هذا المـكان يمارس الصغار اللعـب، والكبـار متعـة الخروج عـن المألوف بعيـداً عن الروتيـن الممل! وهنـاك في نفـس الزمان والمكان فتاةٌ صغيرة تقـفُ وجلى أمام كلِّ خيمةٍ وتتأكـد من وجود سيداتٍ بها قبل أن تدخل!تنظر للوجوه وتتفرسها، تقيس

مـدى تقبلهم لها، ثم تعرض عليهم بضاعتهـا.. تبحث عن مشترٍ أو مقدرٍ لحاجتها!!

بيدهـا كيسان في أحدهما لعب أطفـال، بينما يحتوي الآخر كماليات للزينة. تنثـر بضاعتها بينهم فقليل يشتري وكثيـر منهم فضول! أصابتها خيبـةُ أملٍ حيـن قالت لها إحـدى السيـدات إن بضاعتك غاليـة الثمن.. لملمتْ أغراضها وولت عنهم في عودةٍ إلى طرقِ وجوهٍ جديدة..

تُصـادف ضمن تلـك الوجوه من تسألهـا عن اسمها وفـي أي فصلٍ دراسـي.. تـرددتْ فـي الإجابـة عن الجـزء الثاني مـن السـؤال بعد أن قـالت إن اسـمي «سمـر» وكانت الصدمة لمَّا قالت إنها في الصف الثاني متوسط!

دهشـ الجالسـون ومـرت لحظـات صمـتٍ كانـت خلالهـا النظرات المتبادلة تجول في المكان وكل واحد يريد من الآخر أن يتأكدَ من الإجابة! وعندمـا لمحت الفتـاة الضئيلة الجسـم الحيرة والاندهاشـ في عيونهم بددتهـا بكلمـاتٍ مقتضبة بأن لديها نقص في هرمونـات الطول!! أطرقت الرؤوس وشعر الجميـع بالحرج ماعدا تلك الفتاة!! تابعـت حديثها بأنها تعاني من قصرٍ شديدٍ في القامة وهي بصدد العلاج وأن الأمر لا يعدو عن كونه مسألة وقتٍ ومال!! وسوف تنعم بالطول المناسب لسنها..

مـا أصعـب أن يجـد المرء نفسَه يعـزي الآخريـن بمصيبته ويخفف عليهم هولها!

ولـم تكتـفِ الفتاة بهذا السـرد بل أعقبت ذلك بأن هـذا الأمر أخفُّ بكثيـرٍ من أمراضٍ أخرى لا علاج لها حيث أشارت أنها شاهدتْ أشخاصاً

يملكون المال والجاه ويعانون من أمراض مختلفة شاعتْ في عصر الترفِ والرفاهية يستعصي علاجها ولم يفدهم وجود المال بين أيديهم!!

وكأن هنـاك بركاناً يـكاد ينفجر حيـن قالت:أنا أبيع هـذه الكماليات والإكسسوارات والألعاب لأحصل على المال اللازم لعلاجي!!

قليـلاً قليلاً.. بدأت تلك الرؤوس ترتفع خجـلاً أو حرجاً.. فكلنا نملك الجسد المكتمل فهل نملكُ تلك الروح؟! ونحن كما قال جلَّ شأنه: «إذا مسَّه الشرُّ جزوعاً».

بـدأت الأسئلـة الطائشة تتناثر من الجالسات عن مـدة العلاج ونوعيته، ومـدى التحسن ونجاحه!! وتأتي الإجابـات الواثقة تباعاً من تلك الفتاة حتى خُيِّـل لهم أنهم أمام شخصيـةٍ متكاملةٍ، وبدؤوا ينعون جيـل أبنائهم المتعلق بكلمة(ط ف ش) وضيقة الصدر والغارق في ألعاب (البلاي استيشن) وأفلام الكرتون والمشروبات الغازية وشرائح البطاطس ذات الرائحة النَّتنة!

أفصحـت الفتاة الصغيرة عـن عشقها للأدب والقـراءة والشعر كما تمنـت أن تعمل بالصحافة، وكأن لديها رسالة تـود أن تصل للمجتمع بعد سؤالها عن هوايتها واتجاهها الوظيفي!

أبـدت إحـدى الجالسـات رغبتهـا فـي مساعدتها عن طريـق إحدى الجمعيـات الخيريـة. وكأن (سمـر) استهجنت العرض حيـث ردت عليها بأنها تود أن تكون تكاليفُ علاجها من عمل يدها!!

لا تندهشـوا، الفتاة عمرها يتراوح بين الثالثة والرابعة عشرة وهمها الكبير الذي لم تُصرح به ولكنه يسكنها هو: هل تستطيع الزواج مستقبلاً؟ ومـن سيقبل بها زوجة؟! وأنت تقدِّر عمرها الحالي بين السابعة والثامنة!!

ولا تعلـم تلك الفتاة أن هناك من يفوقهـا طولاً وارتفاعاً إلا أنه لا يملك ما تملكه من عقلٍ وفكرٍ نيِّرٍ ومعنوياتٍ مرتفعةٍ وعزةِ نفس. تحار حين تحدثها وأنـت تعلـم أنها نتـاج منهجٍ قديـم، وربما معلمـةٍ تمضغ الكسـل، وأسرة تتقاذفها متطلبات الحياة، وتطحنها نواجذ الركض خلف ضروراتها!فهل هـي طراز فريد مـن النجابة؟ أم أنها وليدة المعانـاة التي تمخضت عنها شخصية متكاملة من النضج الفكري والوجداني؟

مـا بالنا نربي أولادنا على القيم والمبـادئ التي نؤمن بها ونحقق لهم الرفاهيـة التـي تشعرهـم بكيانهم ونسعى لعـدم احتياجهـم للآخرين أو حتـى لأنفسهم ثـم لا يكونون بالصـورة المطلوبة؟!ألسنـا بذلك نكون قد ضربنـا حصاراً شديداً على أولادنا ضد البـرد والجوع والصدمات وحتى ضـدَّ المعرفـة والنجابة؟! هل هذا هو الاسم الحقيقـي للتدليل الذي جعل أبناءنا لا يعرفون عن ذواتهم إلا أسماؤهم مجردة فحسب؟! وهذا الخليفة عبدالملك بن مروان يقول حين سمع ابنه يخطئ في القراءة: حبنا للوليد جعلنا لا نخرجه للبادية لكي يتعلم لغة العرب!

وهـا نحـن نعيد خطـأ عبد الملك الـذي انتبهت له الفتـاة الصغيرة «سمر» حين تركت عنها اللعب مع لداتها، واتجهت لهدفٍ آخر هو أن تبتاع وتبيع لكي تحصل على ثمن العلاج الذي سيجعلها بحول الله تعيش الشكل الـذي ترتضيه.. وحين تشفى «سمـر» ستكون قد اكتسبت طولاً في القامة، وضخامة في التجربة الثرية التي لولا عاهتها لكانت تسعى بلا هدف سهر في الليل وقلق في النـهار أسوة بزميلاتها وصويحباتها تشتكي متذمرة من ظلـم أسرتها ومعلماتها، وهذا الفستان لا يناسب تلك العدسات اللاصقة، وهذا الحذاء لا يناسب الحقيبة!!

«سمر» تنتظر الليل لينقذها من الركض فتخلدُ للنومِ بلا أرق! وتنتظر الصبـاح لكي تنتظم فـي فصلها الدراسـي بلا قلق! وحيـن يأتي المساء تسعـى لرزقها الحـلال بلا هـدرٍ لإنسانيتها التي كرمهـا الله فعفتها عن سؤال الناس أعطوا أو منعوا.

نحـن لا نريد لأبنائنا أن يتجولـوا بائعين؛ لعدم حاجتهم لذلك، فقد كفـل الله تعالى لهم العيش الهانئ برزقنا وإغداقه علينا فلا حرمان إذاً. فقط نريدهم أن يدركوا الهدف الذي من أجله أوجدوا ويعيشون له.

نريدهم أن يعرفوا أهمية الوقت والصحة والشباب فلا يصرفونها إلا لهدفٍ نبيل.

أمَّـا «سمـر» فندعو لها بالشفاء من عاهتها، ولنرفع القبعات تحية لها ولعصاميتها!!

و... وجد
إنسانيته!

obeikan.com

obeikan.com

ينظرُ لنفسه بالمرآة

السيد عصام...

يمررُ أصابعه على رأسه...

صلعتــه تزدادُ اتساعاً كلما ازدادت طموحاتــه التي تحولتْ إلى أطماعٍ لا تنتهي!

وهــا هو يخسرُ ثروته كما خسر تعرجــاتِ أضراسِه الطبيعية فأضحتْ ملســاءَ من عوامــل الحنق الذي يعتريه حيــن يرى أمواله تتبــددُ ولا تكادُ تعــود!! وهو لم يعتد الخسارة... فهو يعمد إلى إخفاء آثارها النفسية! كما اعتــادَ على أن يخفيَ طموحاته داخل هذه الصلعــة! فإن تحققتْ انفرجتْ شفتاه عن أسنــانٍ بيضاء، واختفت عيناه الصغيرتان في دهاليز وجهه... الــذي يحيرك كثيراً حين تنظرُ إليه ولا تعرف من خلاله إن كان سعيداً أو أنه صاحبُ معاناة!

وقد عانى كثيراً وهو يلهثُ خلف مكاسبَ دنيويةٍ.

وتحققت كلُّ الأماني!

فقد تزوجَ من أجملِ فتياتِ العائلة، وأنجبتْ له أولاداً أسوياء في الخِلقَة ومتفوقين في الدراسة والعمل.

ها هو يسكنُ في حيٍّ راقٍ تحيط به قصور الأثرياء، وتحتضن شوارعه السياراتُ الفارهةُ وتعبق من أجوائه روائحَ الفلِّ والنرجسِ!

إلا أنه لا يكادُ يعرفُ أهلَ هذا الحي..

ترى ما جدوى أن يكون له جيران بهذا المستوى... وهو لا يعرف منهم أحداً!

هنالك تذكر أنه لم يؤدِ الصلاة في مسجدهم القريب منذُ أمد! ولم يلتقِ بجيرانه في أية مناسبة ... أعاد تمريرَ أصابعه على رأسه حتى انزلقت يدُهُ إلى طرفِ أُذنه اليمنى. تحسسها وفطن إلى اعتيادِ ألمٍ يفاجئه بين آنٍ وآخر، ونتيجةً لانشغاله الدائم لم يتمكن من علاجها.

أخذ يتفقد نفسه... وهاله أن يرى شعيراتٍ بيضاءَ تغزو معظمَ وجهه.

تنهد طويلاً، دلف إلى غرفته... تصفح بعضَ الجرائدِ القابعة على إحدى الطاولات.

قرأ... ولأول مرة يجذبُه إعلان! الإعلان يتحدثُ عن تطورٍ في علاج الصلعِ وتساقط الشعر!! في الإطار صورتان لرجلٍ قبل وبعد العلاج... قبل العلاج تظهر صورةُ الرجلِ وهو متجهمٌ وصلعته تلمعُ كإحدى قطع البلياردو، أما صورته بعد العلاج فهو يبتسمُ بكل ثقة.

ابتسم بمرارة فلا زال طعمُ خسارته الأخيرة يتحلبُ في فمه...

مـرارةُ الـهزيمـة تطغى علـى حلاوةَ الانتصـار، والأربـاح التي طالما أفرغها من جيوبِ البسطاء...

يقلبُ صفحاتِ الجريدة...

ويقـرأُ فيها مقالةً لكاتـبٍ مغمورٍ يصورُ اشتياقَ مغتـربٍ لأمه الحبيبة ولحضِنها الدافئ...

ويسهبُ في العباراتِ التراجيدية...

انتبه السيد عصام وكأنه استيقظ من سباتٍ عميق!

قام بسرعةٍ متجهاً نحو الباب...

وكأنه تذكّر أمراً قد نسيه! أو وجد شيئاً قد فقده!

خـرج من منـزله... امتطـى عربته... دون أن يرتـديَ (شماغه) كما اعتاد!

ابتلعتـه الشـــوارعُ الفسـيحـةُ بعضـ الوقـت، ثم لفظته فـي شـارعٍ ضيِّقٍ!

يقفُ... يطرقُ أحدَ الأبواب المتشابهة...

يُفتحُ البابُ...

تخرجُ سيدةٌ عجوز تتعثرُ في خطواتها

تتجهُ نحو الشارعِ ترددُ كلماتِ الوداع المألوفةَ...

obeikan.com

تتبعهـا سيدةٌ تقـفُ بالبابِ وهي تستحثهـا ألاَّ تتأخر عنها في الزيارة القادمـة، ويظهر أنها إحـدى الجارات فقد اتجهت صـوبَ الباب المقابل بنفس الشارع الضيق وهي تتمتم بأسماء الله التامات!!!

ترفع العجوز الواقفةُ بالباب رأسها... تتفحصُ وجهَ هذا القادم

يحني السيدُ عصام قامته المديدة... مُكِبَّاً على يد والدته يقبلها..

تمـررُ أصابعهـا على رأسـه وهي تقول: عصام ما بالـك يا بني فقدتَ شعرك؟!!

يرفـع رأسـه ... يقيمُ صلبه إلا قليلاً، عينـاه تسبحان في بركة من الدموع ... وهو يقول:

لقد فقدتُ ثروتي!!

وأعاني من ألمٍ في أذني ...

وقد جُرح أحدُ أصابعَ يدي ...

وانهمر في شكواه ...

لقد عثر (عصام) على إنسانيته التي فقدها منذُ أصبح ثرياً!!

الأسهم
الموجعة!!

obeikan.com

obeikan.com

لم تكن السيدة سارة بدعاً من البشر أو تنقص عنهم بشيءٍ سوى أنها أميــة لا تقرأ ولا تكتب! ورثت عــن والدها بعد وفاته مبلغاً كبيراً من المال، وفكرت كثيراً في استثمار تلك الثروة التي جاءت على حين غفلة منها..

احتشــدت الأفكار لديها ولــم تجد بداً من الاستشــارة، وكانت مجمل الآراء تشيــر عليها بدخول عالم الأسهم، ذلــك العالم الخيالي فأنتَ تضع نقودك اليوم وتجدها قد نمتْ غداً، أي عالم سحري هذا!!

استقــر رأي السيدة سارة على اقتحام تلــك السوق التي لا تُعرض بها مُنتجات وبضائع ملموسة بل تُشترى بضائع مجهولة المصير!

استقبلتها مديرة فرع البنك وفتحت لها محفظة استثمارية بلمح البصر ريثما ترتشف فنجان القهوة، وهيأت لها متكأً بقرب الشاشة حتى لتشك أن لديها صكّاً شرعياً لذلك الكرسي، فلا أحد يجرؤ على الجلوس عليه!!

obeikan.com

فـي الصبـاح التالـي اشترت السيـدة سـارة أسهم إحـدى الشركات العملاقـة بجـزءٍ من نقودها وباعـت نفس تلك الكمية فـي المساء بعد أن أغلقت الشركة على النسبـة المقررة للربح... فازدادت ثقتها بنفسها، إلا أنه يحز في تلك النفس أنها لا تقرأ ولا تكتب ولا تدري ما يدور حولها سوى احتشاد السيدات لشـراء سهمٍ بعينه فتقتحم الجموع! وتشفع لها ضخامة محفظتها للظفر بالشراء قبل تلك الجموع!!

أصبحت تحضر لصالة الأسهم صباحاً قبل افتتاح السوق بوقت قليل، ولا تنصرف إلا بعد أن يغلق المؤشر إيذاناً بانتهاء التداول! كما أنها تود أن تحـث الخطى عصراً وليلاً لنفس الهـدف.. وأثناء ذلك تراها تلوِّح بيدها وترفـع صوتها فرحـاً عندما ترتفع قيمـة أسهمها، وتعـود لمنـزلها بنشوة عارمة، وتحضر معها لأحفادها المكسرات والحلويات، لكنها تعود مُجهدة متعبـة وقـد جف ريقها حين تنخفض قيمة تلك الأسهـم، بل إنها قد تؤدي صلاتها فتختمها بسجود السهو، فلا تدري أأربعاً صلت أم ست ركعات؟!

تسمع السيدة سارة عن القيمة الاسمية للسهم... فلا تفهم المقصود بهذا المصطلح! كما تسمع عن منح الشركة مساهميها أسهماً مجانية فلا تكاد تدرك أن السبب زيادة رأس المال!!

يـدور حديـثٌ حول إعلان نتائـج الربع الأول فتتحـرق لمعرفة مقدار أرباحها، ولكنها لا تعرف ما يعني مكرر الربح، وعندما تسمعها وهي تردد عبارة (تجزئة السهم) قد تنتابك حالة من الضحك حين تنطق «الهمزة» فتقلبهـا عيناً كعيـن «الهيعة» و«المسعولية»!! ولـك أن تتخيلها وهي تبصم

برفـق مشوب بالحذر على أوامر البيع والشراء فتدرك مدى مرارة اجتماع الجهل والمال في آن واحد!!

صـارت أرباح السيدة سارة تزيـد وبالمقابل تزداد كمية أدوية السكر والضغـط حتى أصبحت زائـرة شبه دائمة للمستشفـى القريب من صالة الأسهـم التي ترتادهـا! فتلك الأسهم جائرة موجعـة، لا ترحم حين تهوي ويتلون مؤشرها بلون أحمر، فهو مؤشر خوفٍ وخطر وتوتر... وزاد من همِّ السيدة سارة عدم وجود قاعدة يستند عليها سوق الأسهم فقد تأكد لديها أن ما يرفع المؤشر ما هو إلا إشاعة يطلقها شخص ثم يتفرج على معركة فيهـا قتال بين الناس دون قتيـل، ويتسلى بصراعهم وتزاحمهم بالمناكب حتى يرى الخاسرين صرعى!!

أقعـد مرض السكر السيـدة سارة عن الحضور اليومـي للصالة وزاد مـن معدل زيارتهـا للمستشفى كل حين، بل إن الـدواء أصبح ملازماً لها، وزادت شكواها وتركز الألم في رجليها وتوقفت عن الصعود للطابق الثاني في منـزلها، مما استدعاها لنقـل غرفة نومها للطابق السفلي.. وتقلصت حركتهـا كثيراً.. وكاد القلـق يقضي على ما تبقى مـن نشاطها!! وبالرغم مـن ذلك فلا زالت تتابـع الأسـهم، ولكن من خـلال التليفزيون بشـريط الأسـهـم! وتعاودهـا الآلام فـي صدرهـا حين تقـول حفيدتهـا الصغيرة «سـارة» عندمـا تنظر للمؤشر وهي تلثغ بالحـروف: (أحمل) (أخدل) أي أحمـر/ أخضر ولا تعـرف سارة الصغيـرة الأرقام لتبلـغ جدتها بمقدار الزيـادة أو النقصـ!! ولكنها من تجربتها الطويلة تعـرف أن الأحمر يعني نزول المؤشر!!

تناقص السمع لدى السيدة سارة الكبيرة، وتضاءل النظر فلا تكاد ترى إلا بصيصاً من نورٍ ولا تسمع إلا المرتفع من الصوت، بيد أنها مستمرة برفع صوتها والإشارة بيدها (سافـ... اولا) (نادق) (سابق) وهي أسماء شركاتٍ ضخمة في سوق الأسهم السعودي...

مثلك يا سارة.. بعمرك.. وبثروتك.. لا يكون شغله الشاغل الركض وراء مؤشرات الأسهم فتستحوذ على اهتمامه وتكون هي هاجسه فحسب، بل مثلك يتهجد بالصلاة... ويتصدق بالمال، ويقضي يومه بالصيام نهاراً والقيامِ ليلاً، ومابين ذلك فهو ذاكر، مستغفر، طالبٌ عفو ربه ومنيب...

سارة... أيتها الكبيرة الصغيرة... عودي إلى ربك، فالمال إلى فناء.. والباقيات الصالحات خير عند ربك مما يجمعون!!

كمامات
الفجر!!

obeikan.com

obeikan.com

في خلسةٍ من الفجر... النهار يتأهب للظهور...

أبو ياسر وزوجته وابنهما الصغير على عتبات المستشفى..

ومن يتجشم الذهاب للمستشفى في ذلك الوقت سوى المضطر؟!!

نوبة ربوٍ حادة اضطرتْ والدي ياسر للإسراع به إلى المستشفى لاستنشاق البخار في قسم الطوارئ تفاجأ الوالدان بخبرٍ غريبٍ من الممرضة وهو عدم وجود (كمامات) بالمستشفى! لذا فإنه يلزمهما إحضار كمامة للاستفادة من البخار.

خرج الأب هلعاً يبحث من صيدلية لأخرى عن كمامةٍ تنقذ بعد الله حياة طفله! وفي هذه الأثناء صدح آذان الفجر معلناً أوان رحيل الليل ومجيء النهار، وموقفاً الأب على عتباتِ صيدليةٍ مغلقةٍ (لأداء الصلاة).

obeikan.com

ومـا أخالك تجهل شعور الوالد، عيناه يرسلهمـا تلقاء الصيدلية، أما قلبه فكأنما أنبت له جناحين فهو يخفق طائراً نحو المستشفى تارة، وبين أضلاعه تارة أخرى!!

يمر الوقت بطيئاً على أم ياسر، والطفل يستجدي أنفاسه! فما يجد غير أحضـان والدته تضمه تارة وتشفق عليه مـن الاختناق تارة أخرى فتضعه على السرير، وتهرول نحو الباب وما تلبث أن تعود لاحتضان طفلها..

بتثاقـل يعـود الصيادلـة إلـى مخـازن أدويتهـم والتـي جُمعـت فيها سيناريوهات التجميل، بجانب الأدوية وحفائظ الأطفال، ولكنها تخلو عادة مـن الكمامات! هكذا تـمَّ إبلاغ أبي ياسر، بيد أنـه استمر في البحث دون جـدوى! فقفل عائداً إلى المستشفى بعد رحلة البحث الشاقة الفاشلة!وفي طريق العـودة قادته عاطفته لإحدى الصيدليـات القريبة من المستشفى التي كانت مغلقة قبل الفجر فوجد لديها كمَّاً هائلاً من الكمامات بمختلف المقاسـات، وحين تساءل وهو فـي عجلةٍ من أمره عـن سبب وجودها في هذه الصيدلية بالذات أبلغه الصيدلي أنه في الآونة الأخيرة ازداد الطلب عليها لذا قام صاحـب الصيدلية بتوفيرها (رحمة) بالمحتاجين إليها من المرضى!!

نَقَـدَ أبو ياسرٍ الصيدلـي المبلغ واستلم (الكمامـات) والشمس تملأ الأرضـ نوراً وأملاً، على نقيض قلب أم ياسـر الذي أصبح فارغاً ولسانها ذاكراً وهي ترنو إلى ابنها وهو شاخص ببصره تسترجع مناغاته حين كان صغيـرا، وعباراته الشيقة وهو يلثغ بحروفهـا يتضوع صحة وإشراقاً، يملأ البيـت حبوراً كمـا تمتلئ، الآن، عينا والدته دمعـاً فتكفكفه وتستغفر ربها

علـى ضعفهـا وتشكو له قلة حيلتهـا... وبينما أنفاس الطفـل تأبى مغادرة صـدره الصغير وهو يتفصد عرقا ويـزداد شحوبا!! يصل الأب مصطحباً الكمامة، فتقوم الممرضة بتوصيلها وتضعها على أنف وفم الصغير، حينها بـدأت الحياة تتدفق في جسده بعد أن كاد يفقدها، والأم تنخرط في بكاءٍ مؤلـمٍ، وزوجها بقربها يدرك شعور زوجته وحرقتهـا فهذا طفلهم الوحيد والأخيـر الـذي نجا من مشاكل حملٍ وولادة متكررٍ لوالدتـه فاكتفوا بالله والياً رائفاً بضعفهم، وبهذا الطفل مؤنساً لوحدتهم..

وفـي اللحظـات التي بـدأ الصغير بهـا يستعيد أنفاسـه يدخل طفلٌ مـع والدته يعانـي من أزمة ربوٍ حادةٍ فتتلقى والدتـه التعليمات بقسوة من الممرضة حول ضرورة إحضار كمامة ليستفيد ابنها من العلاج حيث أنها غير متوفرة في قسم الطوارئ، فيسقط بيدها! هل تترك صغيرها وتذهب لشراء كمامة أم تأخذه معها إلى أقرب مستوصفٍ أهليٍ حيث تتوفر العناية الفائقة سيما حالات الطوارئ!! وأثناء جدالها واستجدائها الممرضة يدس أبـو ياسرٍ يده في جيبه ليخرج كمامةً جديـدة، كان قد اشتراها (تحسبا) للنوبـة القادمـة!! إلا أنـه رأى أن يسلمها لأم الطفل ويرجـو منها أن تدعو لابنهـم المريض أن يشفيه الله ويحفظـه، ولا يعود بحاجة للكمامة، بل ولا بحاجة لمراجعة المستشفيات، بضعف إمكانياتها، وسوء خدماتها، وصلف ممرضاتها!!

مَنْ يُضيء المصباح؟!

obeikan.com

obeikan.com

تفاجأ السيد سعد وزوجته بحصولِ تشنجاتٍ متكررة لطفلِهم الرضيعِ الوحيـدِ، فقاما بنقلـه للمستشفى فتـم تنويمه، إلا أنهمـا وباتفاقٍ مسبق أخرجـاه أثنـاء وقت الزيـارة دون أخـذِ إذنٍ مـن الطبيـب المعالج وقبل استكمال العلاج المقرر، بحجةِ أن الطفل لا تزداد صحتُّه إلا سوءاً!!

وطرقوا بابَ الطب الشعبي ودخلوا في سراديبَ مظلمةٍ من الجهل حتى تحولـتْ لحظاتُ التشنجِ إلـى نوباتٍ طويلةٍ من الصـرع المتكرر! وأضحى كلٌّ مُـدَّعٍ للطب ينصحهم بعدمِ مراجعة الأطبـاء لأنهم لا يدركون أسبابَ الصرع الناتجة من تلبُّسِ الجن بالطفل الرضيع ...

رويداً، رويداً أمسـت صحةُ الطفل تنهار على مرأى من والديه حتى لا يـكادان يلحظان أي تغيرٍ يطرأ على نمـوه.. ولم يُعيرا ذلك اهتماماً بسبب قلـةِ وعيهم لانعدام تعليمهم فإذا علمتَ أن(سعداً) لا يعرفُ عن المدرسة إلا أنهـا معتقـلٌ يُربَّط فيه الصغـارُ والكبارُ في مقاعـدَ خشبيةٍ ثم يخرج

الشابُ موظفاً يقبعُ خلف أحد المكاتب وينتظر آخر الشهر استلام الراتب الذي ينفقه في علاج رجليه من آلام الروماتيزم من كثرة الجلوس. عندها تدركُ مدى معاناته حين يجمعه المكان مع أشخاصٍ يتحدثون بانبهار عن آخـر مبتكرات (الإنترنت) فيكتفي بجملته الشهيرة (الله يجيرنا!) إلا أن تلك المعاناةَ تنتفي تماماً حين يدلفُ منـزله ويغلقُ بابه بإحكامٍ في محاولةٍ لصـدِّ التيار الحضـاري القادم والذي يـكاد يقتلعه من جـذوره فما بالك بالباب!!

وتتسع ابتسامته وهو يرقب زوجته وهي تبادله نفسَ المشاعر وتستقبله ببشاشةٍ وتجدُ نفسها فكرياً معه أكثر مما تجدها مع إخوانها الذين سافروا وتغربوا لينالوا الشهادات المتخصصة..

وعندما تهمُّ بطلب شخصيٍ لها تجدها تُعرِّض للموضوع ولا تدخل به مباشرة خَشْيَة من تكدُّرِ خاطره، فهي ترغبُ بزيارة أسرتها بإحدى القرى المتاخمـة للمدينة حيث أخبـار أسرتها مقطوعة منـذُ أن تعطلَ الهاتف! والحقيقة أن الهاتف يعمـل بكفاءةٍ سوى أن برمجة الاتصال المختصر لا تعمـل بسبب تقادم البطارية فتأخذ جهـاز الهاتف ليقومَ أخوها (أحمد) بالبرمجةِ المتُّفقِ عليها:

الوالـدة رقـم « 1 » بيت الوالد الثاني رقم « 2 » أختي حصة رقم « 3 » أهـل سعد رقم « 4 »... في آخـر القائمة!! وهكذا يتمُّ التواصل مع أسرتها ومعارفهـا دون معرفـةِ الأرقـام الحقيقية لهم لسببٍ بسيـطٍ وهو أنها لم تتعلمْ مطلقاً!!

ويهونُ أمرُ الاتصالِ حين تقارنه بمعاناة الصغير الذي أصبحت الإعاقةُ الجسديـةُ والفكريَّةُ تظهر عليه من أثر نوباتِ الصرعِ المتكررةِ دون علاجٍ

سـوى الفاتحةِ والمعوذات التي تتلوها أمُّه عنـد كلِّ نوبةٍ وقراءة المعوذاتِ في جميع الأحوال أنعم بها، ولو أضافت العلاجَ المخصصَ للطفل من قِبَلِ المستشفى لعقلتها وتوكلتْ!!

أصبحت «أم سالمٍ» لا تحبِّذ الاجتماعاتِ العائليةَ لأنهم يتحدثون بلغةٍ لا تـكادُ تفهمها كما أنهم يلومونها على إخـراجِ ابنها من المستشفى دون معرفة الطبيب ومتابعة العلاج.

وتشتدُ حيرتُها حين ترى «أم هيثم» يزدادُ ابنها صحةً ونمواً على الرغم من أنه كان يُعاني من الصـرع. ونتيجة لاهتمامِ والدته بصحته وبمواعيد الدواء لـم تعاوده نوبات الصرع منذ أكثر من ستةِ شهـور، وحين تُقارنُ بين وليدها وبيـن «هيثم» ينتابها الضيقُ ولكنها أبداً لا ترى أن السبب هو المحافظة على العـلاجِ ومواعيدِه الدقيقة وكميَّاتـه المعيَّرة وتعزو ذلك إلى الابتلاءِ وأنه لابد مـن التوكلِ على الله والصبر. ويغيبُ عن بالهـا حديثُ المصطفى صلى الله عليه وسلَّم «تداووا فما أُنزلَ داءٌ إلا وله دواء». وقبل ذلك نسيتْ تماماً أن أول آيةٍ أُنزِلتْ على خيرِ الخلقِ النبي الأمي هي قوله تعالى ﴿اقْرَأْ﴾.

وحيـن تناقشهـا محدثتهـا عـن ضـرورةِ التعليـم الآن وتحثهـا على الانضمام لمدارسِ محو الأمية المسائية تضع طرفاً من غطاءِ رأسها على فيها، وتُشيحُ بوجهها، وتطلقُ ضحكتَها المتهكمة ومثلُها الجاهز «يوم شاب ودُّوه الكُتَّاب».

نعـم يا أم سالم، ليس كُتَّاباً الآن بيد أنـه مركز إشعاع! إنها المدرسة يـا عزيزتي، اخرجي من السرداب المظلم إلـى الفضاء المضيء، انزعي غطـاء الجهل، وارتـدي وشاحَ العلمِ، فنحـن بحاجةٍ إلى ابنِـكِ سالمٍ وهو سالمٌ! ونحن بشوقٍ إليكِ في طابور العرض العلمي.

تعَلَّمي يا أم سالم لتعْلَمي مدى أهميةِ العلاجِ لابنك ولأسرتِك، وضرورةِ العلم في تشغيل أجهزة منـزلك، ولبناءِ مسكنكِ وحتى حياكةِ ملابسِك!

ولـن تضيقي قط حيـن تجمعك المناسبات بأفـرادِ عائلتك وجيرانك لأنـك ستفهمين حديثهـم وستتبادلين مـع صديقتك «وفـاء» كتبَ الطهي وتعرفين المعايير الدقيقة المخصصة لعملِ المعجَّناتِ، والحلويات..

هـذا العالم المجهـول الذي ينتظـرُكِ، هو معلومٌ لغيـرك عبر ثمانيةٍ وعشريـن خطوة.. أقصـدُ حرفاً، وستتحول الصحيفـة اليومية لديك إلى انتظـارٍ جميلٍ لخبرٍ أو حـدثٍ أو معلومةٍ أو حتـى كاريكاتيرٍ باسمٍ بدلاً من لفٍّ مستلزماتك بها!

ولن تتساوى أمامك الـورقُ والقصاصاتُ، بل سيكون لكلٍّ ورقةٍ معنًى، ومعنىً جميل، فورقة الأغراض المنـزلية لن تتساوى أبداً مع كشف حساب البنـك أو شهادةِ ابنك سالم! الذي سيكون لنجاحـه طرقاتٌ ساحرة على قلبك لأنك ستكونين شريكة نجاحه.. لا بل ستكونين شريكة مواطنيك في اقتسامِ كعكةِ النجاحِ الكبيرة باتساعِ رقعة هذا الوطن!

بالعلم، اُخْتُرِعَـتْ الثلاجةُ والمكيفُ والهاتفُ والأدويةُ، وحتى سجادة الصـلاة التـي تضعين جبينَـكِ عليها أربعـاً وثلاثين مرة فـي اليوم، عدا النوافل!

كلُّ ما حولك نتيجة العلم وليس بفعلِ الجن كما يصوِّرُ لك ظلامُ الجهل.

العلم نورٌ، وكما يضيء النورُ الأنفاقَ والكهوفَ فينجلي الخوفُ والرهبةُ مـن المكان، يشعُ العلـمُ في عقولِ البشرِ فتختفي الأوهـامُ والوساوسُ من الصدور!!

الطبق
الشَّرِّي!!

obeikan.com

obeikan.com

تنـادي مهـا الابنـة الوسطى للسيد عوض والدَها وهـو يهم بالخروج، وتطلـب منه إحضار طبق (جاتـوه أو بقلاوة) من محل الحلويات المشهور بعمـل هذا النوع مـن الحلوى! وها هي تشيـرُ لوالدها بلغـة التحذير أن لا يحرجها أمـامَ زميلاتها! فينظر إليها ويعضُّ شفتيه!!

والسيد (عوض) أحدُ المطحونين في هذا المجتمع، فهو يسكنُ منـزلاً شعبياً متهالكاً، وله من البناتِ خمس، يدرسْنَ في مراحل التعليم المختلفة، إضافة إلى ابنته الصغرى ذات الخمسِ سنوات وسبعة شهور!

وحين يعضُّ السيد عوض شفتيه فهو ممتعض! فالمنـزل صغير وغرفه لا تكادُ تكفي لأفراده، وكثيراً ما ظهرت الاحتجاجات من قِبل ابنته الكبرى (نـورة) وهي تطالبُ بغرفةٍ إضافية لأن غرفـة البنات المشتركة أصبحت تضيـقُ بهن! وهي فـي مرحلةٍ مهمـة في دراستهـا وتحتاجُ للتركيـز أثناء المذاكرة.

وامتعاض السيد (عوض) يأتي من قلةِ مواردِه، فهو موظفٌ بسيط في إحدى الدوائر الحكومية وبالكاد راتبه يكفي أحياناً متطلبات أسرته، ويحرص كثيراً على توفير احتياجات كلِّ أفراد الأسرة عندما يستطيع! كما أنه يهتم بالأمور المعنوية فغالباً ما تجدُ (فطوم) ابنته الصغرى بغيتها في جيبِ والدها من حلوًى زهيدة الثمن يستخدمها كإغراءٍ لها على منحه قبلة المساء تطبعها على رأسِه المثقل بالهموم فتنساب من وجهه ابتسامةُ الرضا ويحمدُ اللّه تعالى على هذه الذرية الصالحة، ويستحضر قوله صلى اللّه عليه وسلم «من عالَ جاريتين حتى تُدركا جاء يوم القيامةِ أنا وهو كهاتين وضمَّ أصبعيه السبابة والوسطى» فتتوق نفسه الأبية لصحبة رسولِ الهدى عليه السلام في الآخرة حين لم تتسنَّ له تلك الصحبة في الدنيا ويُثَنِّي الشكرَ للّه عزَّ وجل أن بناتِه سليماتٌ جسدياً ونفسياً من أيةِ عاهة، إلا أنه عندما يسمعُ همساتِهن وضحكاتِهن في غرفتِهن تنسابُ من عينيه دمعةُ عجزٍ! فقد كان يتمنى أن أوضاعه المادية أفضل لكي يحققَ لهن ما تتوقُ نفوسُهن إليه..

حين أخرج محفظته المهترئة أمامَ بائعِ الحلويات المتورم دهوناً وسكريات من مخالطته الحلوى سأل البائع عن أسعارِ بعض الأطباق، وصورة (مها) تتقافز أمام ناظريه وسبَّابتها تلوحُ بها بالهواء محذرة إياه من عدم إحراجها عند زميلاتها!!

يدٌ تمسكُ بالمحفظة والأخرى يشيرُ بها نحو الأطباق..

(مها) لدى مدرستها حفلة غداً، والطبق «الخيري»! من أولوياتِ الحفلة.. لا زالتْ أصابعُ يده تُطبقُ بشدة على المحفظة، وتذكر أنه قام بتجزئة بعض النقود إلى مجموعاتٍ صغيرة وكتب على كلِّ مجموعةٍ بورقةٍ صغيرةٍ:

ـ قسط إيجار المنزل.

ـ قسط سلفة «أبو حمد».

ـ فواتير الماء والكهرباء.

ـ قيمة إصلاح مكيف غرفة البنات!

ووجد مجموعةَ ريالات لم تبلغ العشرة! وضع عليها ورقة صغيرة (حلوى فطوم) وانتهى توزيعُ راتبِ هذا الشهر! ووقع في حيرةٍ!! هل ينتظر المؤَجِرُ إيجار المنزل للشهر القادم؟؟ أم ينتظر «أبو حمد» تسديد السلفة والتي طالما تمَّ تأجيلها كثيراً؟! أم أن شركة الكهرباء، ومصلحة المياه ستعذرانه لو علمتا أن (مها) لديها طبقٌ خيري هذا الشهر؟!

وحين وقع نظره على المبلغ المخصص لحلوى (فطوم) أحسَّ بانقباضٍ في صدره وطرد الفكرة نهائياً.

آه... إنه المكيف... يمكن أن ينتظر إصلاحُه شهراً أيضاً... سيقوم بنقلِ مكيفِ غرفة نومِه إلى غرفة البنات ويمكنه أن يتحمَّلَ حرَّ (سهيل)... المهم ألاّ تُحرج (مها) أمام زميلاتها... فتراه يُنقِّلُ بصرَه بين الأطباقِ وصورتها لا تفتأُ تسيطرُ على تفكيرِه...

هذا النوع... وأشار إلى أحدِ الأطباق الفاخرة، ونقد المبلغَ للبائع الذي قام بكلِّ خفةٍ بتغليفِ الطبقِ وهو يدعو له ولأسرته بالهناء والعافية عند أكله!! ولم يعلم أن آخرَ عهدِه به حين تحمله (مها) معها وتتجه نحو المدرسة.

تكررت الحفلات بمزيدٍ من الأطباق بدعوى (الخير) حتى عمدت إحدى المعلمات إلى خصم 10 درجات من كل طالبةٍ لا تُحضر طبقاً (خيرياً) ثمَّ استدركتْ المعلمةُ واكتفت بخمس درجات!! كل ذلك والتلميذات لا يعلمنَ مآل هذا الطبق أو قيمته بعد بيعه على الأمهات الذي يكون أحياناً بَيعٌ بأجلٍ!! المهم أن يُباعَ فلا يبقى لغدٍ ويتعرض للتلف!! وكثيرٌ

مـن الأمهات يشترين الطبق حرجـاً أو تقليداً!! وقد يحدثُ أن تشتريَ الأم نفس الطبق الذي أحضرته ابنتها هذا اليوم ولكن بزيادةٍ في السعر!

ومـع فرضِ حُسنِ النوايا وسمو الهـدف، ومعرفة جهة الخير، فالخير ليـس طبقاً، الخير مبدأ، لا بدَّ من تعليمه لأبنائنا، وللخير أبوابٌ.. لابد أن يدخل من خلالها أبناؤنا مسلحين بعقيدةٍ راسخةٍ بأن المجتمع المثالي هو مجتمعٌ إسلاميٌ متكافلٌ لا يجوعُ فيه الفقير، ولا يبطرُ فيه الغني، مع الابتعاد عن الإلزام واعتماد السرية بحيث «لا تعلمُ شماله ما تُنفقُ يمينه».

ومـع التسليم التام بـأن الطبق الخيري يعودُ ريعـه لأصحاب الحاجة، فماذا تبقـى للحرَّية الشخصية فـي دفع الصدقة للأقـارب المحتاجين، والجيران المطحونين برحى المتطلبات الضرورية؟!!

لقـد ضُيِّق على الناس وأصبـح الأمرُ يأخذُ بُعداً آخر هو المباهاة بين الطالبات بأفضلِ طبق، كما هي المباهاة بين المدارس بأكبر مبلغٍ مُحصَّل بل مُمْتصٍ من دمِ وجهدِ الذين يتكففون الناس ولو كان بهم خصاصة!

* * *

حين حلَّ الشتاءُ بعد صيفٍ لافحٍ ... تنفس السيدُ (عوض) الصعداء، فلـم تعد هناك حاجةٌ لإصـلاحِ المكيف ولكنه امتعض وعـاد يعضُّ شفتيه ويضغطُ على أسنانه فتُحدثُ صريراً!!

لقـد عادت المدرسةُ بهمومها وطلباتها، وعاد الطبق الخيري يتبختر بين الطلبات!!

هذه السنة «ستَّةُ» أطباقٍ خيرية ...

(فطوم ستدخل المدرسة هذا العام)!!

الأعشاش الخالية!!

obeikan.com

obeikan.com

تعالتْ الهمسات حين دخلت «هدى» إلى الاستراحة في اجتماعٍ دوريٍ للأسرة الكبيرة، اتفق فيه أفرادها على حتمية اللقاء للتواصل وصلة الرحم.. وحين استقر بها المكان بجانب إحدى قريباتها توالت عليها الأسئلة التي لا تخلو من فضول! وكان السؤال المحرج لها عن سبب استئنافها العودة للاستراحة!! لم تجد «هدى» مبرراً لهذا السؤال ولكنه بالتأكيد هو المبرر الحقيقي لانقطاعها عن الاجتماع الدوري، الذي تتصدر فيه الفتياتُ المجلسَ بالحكايات والفكاهات الخالية من الحياء، وتهمَّشُ فيه أحاديث الحكمةِ والتجارب ورواية العِبَر والطرائف الهادفة والممتعة في آنٍ واحد!!

و«هدى» شخصية اجتماعية من الدرجة الأولى تجد المتعة مع قريباتها حيث يُشعرنها بالانتماء والدف العائلي، فهي تنظر للكبيرات بالسن أنهن

obeikan.com

يملكـن تجارب تحتاج لهـا وقد تجد لديهـن إجابةً لتساؤلاتهـا العديدة في مسيـرةِ حياتهـا، وترنـو لقريناتها في العمر بـأن فـي استطاعتهن احتواء أفكارهـا ومناقشة المشاكل والهموم المشتركـة لمن هن في مثل عمرها أو ظروفهـا العملية. أما الأطفال فهم أصدقاء أبنائهـا وممن تشعر بأنهم من نفس النسيج الأسري والاجتماعي والتربوي، بيد أن هدى تصاب بخيبة أملٍ حالمـا تعود من الاستراحة مباشرة فلا تنـام ليلتها تلك تفكر في الساعات التـي قضتها ومدى الاستفادة منها، فلا يـكاد يُسمَعُ في ذلك المجلس ذكرٌ لله إلا قليـلاً، ولا تبـادل للأحاديـث الودية التي تشعرهـا بالتدفق العاطفي إلا نـادراً، أما المشاركة بالسراءِ والضـراء فلا تبدر من أحد! بل تغلب على المجلـس السخرية والانتقـادات الشخصية وتدور فيه أطبـاق الحلوى التي تتبارى فيها المدعوات بمهارات «خادماتهن»، ويتلو ذلك كله العشاء المتعدد الأصنـاف! وتمتد السهرة بهـم طويلاً وتعود القوافل إلـى المنازل معظمها في حالة نشـوى بانتظار الاجتماع القادم. ومع قناعة هدى بأهمية التواصل العائلـي وبين الأصدقاء تتساءل بحيرة هل هذا هو المعنى الحضاري لصلة الرحـم وتفقـد الأحـوال؟ أم أن الأمـر لا يعدو عـن كونه استعراضـاً زائفاً بمساحة الاستراحة وارتفاع سعرها وتعدد مرافقها!!

حقيقـة... لِمَ لا نشعر بالثراء الفكـري والمعرفي في زياراتنا لبعضنا حتى ولو كان الأصل فيها صلة الرحم؟لدرجة بات أحدنا يعود بعد كلِّ زيارة وهو لا يحمل من وزر قضاء الساعات الطويلة إلا أخباراً مستهلكة أو طُرفاً سخيفة. وتحولـت الزيارات العامة والخاصة إلـى مجاملات وتبديد وقت الفـراغ الممتـد لوقتٍ متأخرٍ مـن الليل. ثم إن اختيـار الوقت أمره عجيب

فعـلاً فالزيـارات لا تبدأ إلا بعد صلاة العشاء صيفـاً أو شتاءً وقد تتعداها بساعـات، وتقترب نهايتها لصلاة الفجـر، فهل هذا ما أرشدنا إليه ديننا الإسلامي للنوم الباكـر لنتمكن من القيام لصلاة الفجر؟ هذا إذا سلمنا ببـراءة الزيارات مـن اللغو واللهو! فما بالك بأشخاصٍ تمتد بهم ساعات الليـل في لعبٍ أو غيابٍ فكريٍ باستمـاعٍ أو مشاهدةٍ ما تشمئز منه النفوس السوية.

إن مجتمعاتنـا الإسلاميـة لا تخلـو مـن وجود فئات مغيبـة عن الحق وتحتـاج للتنبيه فحسب، لأنهم اعتادوا أن يمارسوا عادات اجتماعية قد لا يكـون ظاهرها مخالفة للشرع ولكن في باطنها يكمن البعد عن الله، فهي تحتـاج للتذكيـر وإيجاد البدائل. فمـا يمنع أن تكون الزيـارات بعد صلاة العصـر مباشرة وتنتهي قبل صلاة العشاء؟ حيث يعـود المرء إلى منـزله كمـا تعود الطيور إلـى أعشاشها وتخلد للنوم باكراً، وهـي التي ميزنا الله تعالى عنها بالعقل وأنزل معه التكليف الذي سنحاسب عليه. والطريق إلى تعديـل الاتجاهات الخاطئـة التي اعتاد عليها النـاس لا يخلو من صعوبة، ولكـن حين يكـون الدافـع هو الصـدق والمحبـة والإصرار علـى التعديل والتطبيق بصورةٍ مقبولـة، عندها ننجح في تصحيح المفاهيم والعادات. وقدوتنـا في ذلك سيد البشر صلى الله عليه وسلم، الذي عدَّل عقيدةَ أمة من الشـرك إلى التوحيد، أفنعجـز عن تصحيحِ أسلـوبٍ خاطئٍ في حياةِ مجتمعٍ دائم التغير!!

ولازالـت هدى تتـردد كلَّ مرة بقبول أية دعوةٍ تقـدم لها، حيث تتذكر المنظـر المتكـرر بعد نهاية كل زيـارة ثم العودة للمنـزل وهي تحمل بين يديها أحـد أطفالها والطفل الآخر يُحْكِم والـدُه عليه قبضته وهو يتجه به

نحو سريره، بينما الطفل الثالث لا زال في المقعد الخلفي من السيارة يغط في نومٍ عميقٍ، وكلا الزوجين ينتظر من الآخر مبادرته النبيلة لتوصيله إلى سريره بسلام! فكلاهما قد استنفد طاقته في السهر، والفجر يلوح بالأفق ويعلن تباشير صباحٍ جديد!!

obeikan.com

التشريف المبكر!!

obeikan.com

obeikan.com

تحرص «نجوى» على تلبية دعوة زميلاتها إبَّان الدراسة الجامعية لاستعادة الذكريات التي لا تَملُّ من ترديدها مع زميلاتها، وفي كل إعادة يطفح وجهها بالبشر والنور، وذلك البريق الذي يلمع في عينيها.. بريقٌ من نوعٍ آخر لا تعرف كنهه!

«أمل» معلمة اللغة العربية منذ أربعة عشر عاماً وهي تُعيدُ على تلميذاتها أخوات كان بنفس الأمثلة وبالطريقة ذاتها.

«سناء» معلمة العلوم الشرعية لا زالت تكتب كلَّ عامٍ مرئياتها حول المناهج واحتجاجها على بعض العبارات الواردة في المنهج ولكن دون تجاوب!

«سوسن» موظفة في دائرةٍ حكومية تعجُّ بالموظفات والمراجعات، ويذهب جلَّ وقتها في أوراقٍ صادرةٍ وأخرى واردة وقد نسيت التخصص الرئيس الذي درسته وتخرجتْ تحمل شهادة نجاح به.

obeikan.com

أمـا «نجوى» فإن أردت أن تحدثك عـن الجغرافيا فهي تعرف جمال سطح تلك الدولة الأفريقية الغارقة بالفقر كما تعرف صقيع الدول الغنية. ولديها ثقافة واسعة في أحداث التاريخ وتأثير الطقس على مجرياته. كما أن التاريخ لديها يعني أخذ العبرة وليس أحداثاً تُسرد فحسب. إضافة إلى أن من يقرأ التاريخ يستطيع أن يتنبأ بالحاضر بناءً على معطيات الماضي. وتُدلـل على صدقِ حديثهـا بأبيات من شعـر الحكمة تنطقهـا بلغةٍ عربيةٍ فصيحة. عـلاوة على ذلك فإن معرفتها بالغذاء الجيـد ومكوناته وتأثيره علـى الفكـر لا يقلُّ مطلقاً عـن معرفتها بحركة «غاندي» ضـد الاستعمار، وزهـده وتقشفه، وتعزو نجاحـه إلى تلك الصفة التي عُرفتْ عنه. وترى أن الإسـلام هو الحل في كلِّ الحركات السياسية والاجتماعية حيث أنه أرسى قواعـد السلام منذ أربعة عشـر قرناً. ولنجوى اهتمامـاتٌ أخرى فلديها مهـارة في صنع الحلوى، وحين تُقدمُ لك قطعة من الحلوى تغريك القطعة الأولى لاستراق النظر للقطعة الأخرى في الطبق.

وللتربية عندها مفهومٌ آخر حيث ترى أن التربية تتلخص في القدوة! فكـن أميناً ليكون ابنك أمينـاً، واحرصي أن تكوني صادقة لتضحي ابنتك صادقـة، وكونـوا مخلصيـن في أعمالكـم ليسـري الإخلاص لـكل فريق العمل.

ولا زال ذلك البريق الساحر يجذب زميلات «نجوى» إليها على الرغم من النقاش الحاد بينهن حول إلزامية التقاعـد المبكر للموظفات، وكان الاحتجاج سيدَ النقاش لا سيمـا من قِبل د «سعاد» التي حصلت على شهادة الدكتـوراه منذ وقتٍ قريبٍ وعملـتْ أستاذاً مشاركاً في الجامعة وتطمح أن

تكـون أستاذاً مساعـداً، وبعدها عميدة للكلية، ذلـك الأمل الذي يلوح لها بالأفق! فكيف يُغتال طموحها على مقصلة التقاعد المبكر؟!

العمـر الزمنـي لجميع الزميـلات متقاربٌ، ولكـن يبدو لـك أن نجوى تصغرهن بكثير. حيث أنها تقاعدت عن العمل قبل أن تشرع به، برغم أنها حصلت على الشهادة الجامعية بتقدير «امتياز» مع مرتبة الشرف. ورشحت معيدة في نفس الكلية لتفوقها، إلا أن ابن خالتها «أحمد» ذا الأخلاق العالية والمبـادئ السامية كانت عروضه أكثر إغراءٍ على الرغم أنه شخص مكافح وعصامـي فهـو لا يملك المـال إلا أنها تزوجتـه، وأنجبت منـه أربعة أبناء أكبرهم في الثانوية العامة وأصغرهم طفلة في المرحلة التمهيدية، إن شئتَ أن ترى المثالية في التربية فأمعن النظر فيها هل ترى من قصور؟!

لقد رُزقتْ «نجوى» بأولادٍ نجباء ازدانوا بالأدب، وما يميز شخصياتهم عن أقرانهم إكليل الحيـاء والطاعة التي يفتقدها جيل هذا الزمن العنيد المشاكس الناقم على كلِّ شيء حوله! يعلم أولادها قيمة كل شيءٍ عندهم، فأقلامهـم لا تُفقد في المدارس وفطائرهم لا يعـودون بها من مدارسهم دون مساس لأنها محشوةٌ بالجبن السائـل بدلاً من الجبن الشرائح!! كما أن دفاترهم لكتابة الدروس وليس لكتابة الخواطر وما يدور في الرؤوس.

علمـتْ أولادهـا أن الملابـس لستر البـدن، والحـذاء للمحافظة على القدم، والحقيبة لحفظ الكتب والدفاتر وليست للمفاخرة، واقتنع أبناؤها بهذا المنطق فلديهم الأقل بما يكفي احتياجاتهم، أما الزيادة فما هي إلا فضول يُحاسـب عليه المرء. وأدرك أبناؤها معنى الصدقة، لذا جعلوا في مصروفهم الشهري حظاً لذوي الحاجة.

يدهشك ذلك البريق وتعجب لهذا الهدوء في تقاسيمِ وجهها، فلا تشكو «نجوى» من جورِ مديرتها ولا ضعف مستوى طالباتها، كما أنها لا تذكر المعاناة من عدمِ تجاوب المراجعات لمكتبها وقلةِ تقديرهم لطبيعةِ عملها، وليس هناك أي ذكرٍ لمشاكل الخادمة وتكسيرها الأطباق ونظافة المنزل أو العنف مع الأطفال لأنها تُشرفُ على ذلك بنفسها وليست بحاجةٍ إلى خادمة!

«نجوى» الجامعية المثقفة المتفوقة، تحتار ما هو تخصصها الأصلي فاطلاعاتها المكثفة وثقافتها الواسعة في جميع المجالات أضفت على شخصيتها الروعة، كما أن عدمَ انشغالها بأمورٍ دنيويةٍ أسبغَ على نفسها هدوءاً ودعة ... فلا تهتمُ بما يهتمُ به أغلب الناس في مجتمعها.

ولا زال ذلك البريق يشعُّ من عينيها وذلك البشرُ يطفح في وجهها! وليس هناك من سر! فهي لم تدخل دائرة الموظفات والصراع الوظيفي، حيث كل واحدة تريد أن تثبتَ للآخرين جدارتها. كما تسعى أن تصعدَ لوحدها إلى القمة حتى بات لدينا داخل دوائر العمل صراعٌ رهيبٌ تمخض عنه ظلمٌ واضطهاد لمن تعمل بصمتٍ وكفاءة وخوفٍ ووجلٍ من أولئك المتمسكين بمناصبهم ولا يعلمون أن القمة تتسع لكلِّ الناجحين.

والنظرية الاقتصادية التي تؤمن بها «نجوى» وتسكن إليها هي أن العبرةَ ليستْ بكثرة الدخل بقدر ما تكون بالحكمة والتروي في الإنفاق. تقول ذلك لزميلاتها حين اشتكين من (طيران رواتبهن) قبل نهاية الشهر على الرغم من الدوام المضني وعدم المواءمة بين متطلبات العمل خارج المنزل وداخله، فكيف حين يصدر نظام التقاعد المبكر، ويقضي على نصف الراتب؟!

والحقيقــة أن المرأة (الأم) لا تدرك مدى ضياع العمر في عملٍ يومي يلتهمُ نصف يومها ونصف عمرها وقد يتجاوز ذلك إلى صحتها وتفكيرها، ويؤثــر حتى على عبادتها حين تعلم المــرأة أن بقاءها في منـزلها ورعاية أبنائها يعدل أجر المجاهدين! وهو جهاد لو يعلمن عظيم!

وحيــن نبحث عن المحصلــة النهائية نجد أن العملَ قــد أفقد المرأة ذلــك البِشْرَ الــذي يطفح من وجه «نجوى» وذلك البريــق في عينيها وتلك الابتسامة المطمئنة على مُحياها.

فمــن يأخذ جميعَ مميزات وظيفتــي ويعطيني راحتي؟!! تُرى هل نحن بحاجةٍ إلى (مستشفى الأمل) لعلاجنا من إدمان العمل؟!!

أم أننــا بحاجــةٍ إلــى بطاقــة التشريــف المبكر والعــودة سريعــاً إلى منازلنــا؟!

ساعة
أم أحمد!

obeikan.com

obeikan.com

قـررت السيدة «منال» أن تأوي إلـى سريرها قبل موعد النوم المعتاد بساعـةٍ واحدة. جـاء ذلك بعد أن تسلمتْ عملها الجديـد. أطفأت الأنوار وجلسـت مع نفسها في محاولةٍ لاسترجاع أحـداث يومها... ثماني عشرة ساعـة مضت منذ استيقظت صباح اليوم وحتى هذا الوقت.. حيث طلبت منهـا ابنتهـا في الصبـاح أن تُصلِـح من هندامهـا وتقوم بعمـل ظفيرةٍ مناسبـة كبقيـة الطالبـات، إلا أنهـا نهرتهـا ووجَّهتها إلـى الخادمة لكي تقـوم بهـذا العمل (التافـه) يأتي ذلك متزامنـاً مع بكاءِ ابنهـا الصغير محتجـاً على نـوع الفطيرة فهو لا يريدهـا محشوةً بالجبـن كل يوم، فقد مـلَّ من الجبـن وبحاجةٍ إلى جرعـةٍ مـن الشجاعة! أو المربـى. وكذلك زوجهـا كان يـودُّ استشارتها فـي موضوعٍ هامٍ يتعلق بعملـه، ولكن لم يكن ثمَّـة وقـت لمناقشة أيِّ موضوع فلـم تُلقِ له بالًا! وخرجـت للعمل، وهناك صادفـت وجوهاً متعددة مـن الموظفات والمراجعـات وأمامها مجموعة

obeikan.com

مـن المعاملات تحتاج لاطـلاع وتوقيع وردٍّ على الاستفسـارات والبت في الإجـازات المختلفة.. ولم ينقضِ وقت الـدوام إلا وقد أصبحت كومةً من التعـب والتوتر، فعادت إلى منـزلها محملـة بهموم العمل لتجد الخادمات فـي المنـزل وقد كسَّرن أطباقاً وخربـن آلاتٍ كهربائية في المطبخ مروراً بتعطـل مكنسـةٍ أو غسالة، كما أن هذه طاولاتٍ لـم تُمسح وتُحفاً لم تُلمَّع، فتبـدأ بإصدار أوامر لهذه الخادمة ومعاتِبَة لتلك على تقصيرها، وما أن يحضـر أولادها من مدارسهم حتى تبدأ طلباتهم المدرسية والشخصية خلال فتـرة الغداء! التي تليها فترات مثقلـة بالأعباء من تحقيق مطالب الأبنـاء وبعض مطالـب العمل، كمـا أن هناك التزامـات عائلية لابد من أدائها وزيارات يتحتم عليها الإعداد لها!

ويـدور دولاب أحداثها اليومي بفوضوية دون تركيز لدرجة أنها تؤدي صلاتهـا دون خشوع وتمضـغُ طعامها بلا استمـراء! وعندما تحين ساعة النـوم ترتمي على سريرهـا وتستيقظ مراراً بين فزعٍ ووجـل فلديها دوماً اجتماعات وقرارات هامة فهي أبداً يلوكها التعب ويلفظها النصب!

تذكرتُ «منالُ» في هذه اللحظات «أم أحمد» البائعةَ في المقصف التابع لعملها حيـث تبيع فطائر وحلويـات وبعض المشروبات البـاردة والساخنة، وحينمـا ينفضُّ جمع مرتادات المقصف يتبقى لديها من الوقت الكثير ومن الحكمـة أكثـر! تذكرت هدوءها النفسـي ونظراتها المريحـة، وتعجبت من مقدرتها على إجابة جميع الطلبات في وقتٍ قياسي ودون توتر!! بل وبطريقة أصبحـت معهـا صديقة الجميع، فعلـى رغم أنها من بلـدٍ عربيٍ مجاور ولا تربطها بهؤلاء الموظفات رابطة قرابة إلا أنَّ من يراها بينهن يُحسُّ وكأنها مـن نفـس النسيج لا سيمـا حين ترِدُ علـى لسانها بعض الكلمـات باللهجة

المحلية تنطقها ممزوجة بلهجتها الأصلية فيشعر بذوبان الفوارق الوظيفية والعرقية في هـذا المكان. ولمَّا تتحدثُ عن بلدها تجزمُ أنك أمام فيلسوفة تُحلل مجريات الأحداث بلغة الخبير، وحين تورِدُ بعض الحكم والأمثال بأكثر من لغة تجد نفسك مبهوراً لا يوقظك من هذا الشعور إلا عندما تتحدث عن ابنها أحمد ومشاكساته مع إخوانه وطرفه وحكاياته المألوفة لمثل سنه حتى ليخيـل إليك أنها لم تتجاوز مطلقاً عتبة منـزل والدها إلا إلى منـزل زوجها دون المـرور على مدارس المناهج والحياة! إلا أنك حيـن تُطيل النظر في جبينها تجده يحكي لك تجارب أودعت بها الحكمة المسكونة في عقلها!

«أم أحمـد» أصبحـت أحد رموز العمـل فعندها يتخفـف البعض من أحزانهـم ويوْدِعُهـا آخرون أسرارهـم. إضافة إلى أنهـا ذات حضور فهي صاحبـة دعابة، كما أنها تشارك الموظفـات أفراحهن، فتراها تثني على طبـق الحلـوى لزينب لولا أن نسبة الفانيلا أكثر ممـا ينبغي! ولا يفوتها أن تنتقد الفكرة الانسحابية في مقالـة «بشرى» الكاتبة في المجلة الشهرية، وبنفس الوقت تراها منهمكةً في زخرفة «الحِنَّا» لبعض الموظفات، وكثيراً مـا تعـود الموظفات لمنازلهن وقـد أودعن في حقائبهن «حلـوى أم أحمد المشهورة» الخالية من الأصباغ والملونات الضارة هدية لأطفالهن.

«أم أحمـد» لهـا فلسفـة رائعـة فـي الحيـاة حتـى باتت مـن سماتها الشخصيـة، وهي محاسبة الـذات في آخر ساعة من كل يـوم. وهي تعزو نجاحهـا في عملها ومحافظتها على صداقاتهـا وإدارتها منـزلها الصغير بعـد توفيق الله تعالى إلى التزامها بهذه الساعـة من يومها، فهي تسميها تـارة ساعـة التقويم، وتـارة أخـرى ساعة التهذيـب، وثالثة ساعـة اللوم والتقريع، لذا حرصت أن تقنع كلَّ مَنْ حولها بالتزام هذه الساعة الذهبية

مـن اليوم حتى أصبح النوم لا يغشى جفنيها إلا حين تدور عقارب الساعة دورتها الكاملة معلنة عن انقضاء ستين دقيقة فتخلد إلى نومٍ هادئ (وعند الصبـح يحمد القوم السُّرى). وبفعل العدوى أصبح هذا القانون الفلسفي مسلكاً يميزُ ذوات المبادئ السامية للموظفات في هذه الدائرة.

لـذا قررت «منال» السير على نهج أم أحمـد. فأخذت تراجع حساباتها وعندئذٍ أدركت أنَّ «نبيلاً» ابنها قد ملَّ فعلاً من فطيرة الجبن التي تجهزها الخادمـة بلا مبـالاة، لذا قررت أن تقـوم بهذا العمل بنفسهـا يومياً بحيث يكـون إفطاره اليومي مفاجأة سارة، ولن تنهر ابنتها «مها» حين تطلب منها أن تربـط ظفيرتها بل ستجعلها تبدو دائماً بمظهـرٍ لائقٍ، وستناقش زوجها فـي موضـوع الترشيح لمجلـس الإدارة وستحفزه على ذلك وتشـدُّ من أزره فهو رجلٌ مكافح يستحق أن يتسلم هذا المنصب. وقد شعرت بالخجل فعلاً عندمـا استرجعت مـا حدث صباحاً مـن طلبه الاستماع لرأيهـا ومشاركته طموحـه، ولكنها لم تفعـل بل طلبت منه إرجـاء الأمر! وعلـى صعيد العمل هـذه «منى» يا إلهي! كانـت تريد إجازة استثنائية لرعايـة مولودها الجديد ولحاجتـه للرضاعـة الطبيعية وقد انتهـت إجازة الأمومة ولـم تنتهِ حاجته إلـى رعايتها. حسناً غداً سأطلبها لاستكمال إجراءات الإجازة. كيف نسيتُ ذلك! لم أمنحها الوقت الكافي لشرح ظروفها وأغلقتُ باب النقاش معها!!

وكانت «منال» مسترخية فجلست في محاولة لتذكُّر الآيات التي قرأتها في صلاة العشاء، ولما لم تستطع وجدت أن لديها اختلالاً بين كسب عرَضٍ زائل وإهمـال مواجهة خلودٍ مقيم! نعم لقـد أدَّت صلاتها على عجلٍ لتلحق بالزيارات المتكررة لأخواتها تارة ولصديقاتها وزميلاتها تارات أخرى، لذا قـررت تنظيمها لاسيما وأنها تلتهم جُلَّ الوقت فترجع متأخرة مما لا يمكنها

من الإشراف على عشاء أبنائها ونومهم، وتذكرت بامتعاض ارتيادها الدائم للأسواق بلا هدف محدد، وقفزت على الفور في مخيلتها تلك الساعات المهدرة في المكالمات الهاتفية الطويلة بلا مبرر، لذا عزمت على عدم استخدام الهاتف إلا حسب الحاجة وأن لا يُهدر الوقت فيها، وعزت ذلك كله إلى وجود الفراغ! ترى أي فراغ؟! نعم، لديها خادمتان فلابد من الاستغناء عن واحدةٍ لتتمكن من الإشراف على منزلها بنفسها وليكن دافعاً لها للشروعِ في تنفيذ القرارات بجديَّة بعد الاستعداد لذلك.

أسندت رأسها المثقل بالآمال ليتحول إلى أحلامٍ منامية حتى فوجئت برنين المنبه واستيقظت فزعةً لتؤديَ صلاتها وكأنها أحد أفراد سباق اختراق الضاحية وأسرعت لترتدي ملابسها و«نبيل» ابنها لازال محتجاً على الفطيرة وابنتها «مها» ترفع يدها بالمشط تتوسل إليها لعمل الظفيرة وهي تنهرهما وتشير إلى الخادمة، وزوجها الذي سيخبرها بقرارات مجلس الإدارة مساء البارحة واختياره رئيساً للمجلس آملاً منها التهنئة، إلا أنها لم تكترث بذلك وهي تلقي أوامرها للخادمات بالاستعداد للعشاء الليلة حيث دعت زميلاتها لحفلة «مرام» زميلتهن التي تزوجت حديثاً. وبعد عودتها من عملها تناولت سماعة الهاتف وراحت تدعو زميلاتها في عملها السابق لحضور الحفلة. وفور أن انتهت من المكالمات التي استغرقت وقتاً طويلاً توجهت للسوق لتشتري لها فستاناً يناسب ساعتها الثمينة التي كانت قد اشترتها في وقتٍ سابق..

وما أن اجتمعت المدعوات حتى كان محور حديثهن الثناء على أناقة السيدة «منال» وملائمة فستانها وعقدها وحذائها وربطة الشعر لساعة الألماس القيمة عندها طلبت إحداهن الاطلاع عليها متسائلة عن نوع

ماركتها فناولت «منال» زميلتها الساعة وأطلقت ضحكتها المجلجلة وكانت إجابتها المفاجِئَة أن اسمها «ساعة أم أحمد» وقد نسيت أن تغير بطاريتها كأغلب ساعاتها فهي تشير أبداً إلى الساعة العاشرة وعشر دقائق، تماماً كابتسامة أم أحمد العذبة!

obeikan.com

عباءة
الوزير!!

obeikan.com

obeikan.com

وجههـا يوحي بسـنٍ أكبر من السن الحقيقـي لصاحبته.. فهو مشوب بحزن نبيل تعلوه ابتسامةٌ تليقُ بمسمَّى وظيفتها!!

هي ممرضة في أحد المراكز الصحية الذي اعتاد أن يبعثَ واحدةً من الطبيبات وممرضةٍ لمدارس البنات لإلقاء محاضرات توعوية للتلميذات.. تطلب الممرضة معلومات عن أعداد التلميذات، والأمراض المنتشرة بين الصغيرات وتُسجِّلُ تلك المعلومات في ورقةٍ رسمية أحضرتها معها..

شكـرت الممرضـة وكيلـة المدرسـة واعتـذرت لها عـن استخدامها مكتبهـا.. وبعـد أن أنهت مهمتهـا قدمتْ لهـا الوكيلة فنجانـاً من القهوة تعبيراً عـن الضيافة المعهودة، وأثنت على نشـاط الممرضة التي بادلتها بابتسامـةٍ أشرقت من ذلك الوجه الحزين! وقالت: هذا النشاط مصاحب للعمل الصباحي، أما المسائي فعسى أن يتوبَ علينا الله!!

obeikan.com

وحيـن استفسرت الوكيلـة عن مغزى كلامها، تحدثـت الممرضةُ عن معاناتهـا وبعضِ زميلاتها المتزوجات من الـدوام المسائي! فدورها في الحيـاة ليست ممرضة فحسب، بل إنها تقوم بـدور الأم والأب في الأسرة وذلك بعد وفاة زوجها منذُ عدةِ سنوات، وقد ترك لها ثلاثةَ أبناء أكبرهم يبلـغ الآن ثلاثة عشر عاماً، وأصغرهم فـي الصف الأول الابتدائي، وحين كانوا صغاراً كانت تستعينُ بمربيةٍ ترعاهم بعد أن تغلقَ عليهم بابَ المنـزل حتى عودتها بعد المغرب! تستأنف حديثها.. أما الآن وقد كبروا فلا أستطيعُ إغـلاقَ بـاب البيتِ عليهـم، بل إنني أحرصُ على أن يـؤديَ ابني صلاتي العصـرِ والمغرب جماعة فـي المسجدِ القريب من مسكننـا، واستدركت لتقـول: حقيقة لستُ أدري ماذا يحدثُ بيـن الصلاتين! فالشباب في هذه السن يحتاجون لملاحظةٍ دائمةٍ وحثٍّ مستمرٍ على المذاكرة وعدمِ إضاعة الوقـت. نعم، لقـد تمكنتُ بعونٍ مـن الله أن يكونَ أبنائـي متفوقين، ولكن لستُ أدري هل أستطيعُ المواصلة أم سأضطر للتوقف؟!

في كل يومٍ دراسي قبل أن أذهبَ إلى عملي أقوم بإيصالهم إلى مدارسهم، وأحضـرُ في وقتٍ باكرٍ لعملي، قبـل بداية الدوام الرسمي للمركز، وأبقى في العمل إلى ما بعد نهاية الدوام أنتظر خروج أبنائي لاصطحابهم للمنـزل. ثم أستأنـف العمل المسائي الـذي كان يناسبني في وقتٍ ما، إلا أنني وزميلاتي المتزوجات ممن لديهن أطفال لا يناسبنا نظام الفترتين مطلقاً.

أشعـر أن هنـاك شيئاً مـا.. يقلقني ويؤثر على مستـوى أدائي للعمل، فابنـي المراهق لا أعلم ماذا يفعلُ أثناء غيابـي، وحين أعودُ مجهدة تبدأُ مشاركتـي لهم وهم يستعـدون للعشاء والنـوم ويتوجهون لغـرفِ نومهم!! فأهدهـد الصغيرَ، وأنصحُ الكبيـرَ، وأروي الحكايةَ للأوسط الأثير، الذي

يأبــى النومَ إلا حين يحتضــن يدي... وتعود بي الذكريــات حين شجعني زوجي رحمــه الله على الدراسة في الكلية الصحية وذلك بعد أن لمس في شخصيتي جانبَ العطف والرحمة بالضعفاء، ولما تخرجتُ رأيتُ أن أعملَ في المركــز الصحي وسط نطاقٍ نسائي، وكنت أشعــر بالمتعة سيما أنني أحببــتُ عملــي وأحسستُ بالانتماء للمــكان والزميلات اللاتــي شاركنني المتعة في أدائه خصوصاً العمل المسائي الذي أعودُ منه وفي جعبتي بعضَ المواقــف الطريفة التــي أُحدِّثُ زوجي عنها ويشاركنــي حماسي بتشجيعه الدائــم لي وحثي على بــذل الجهد، والإخلاص فــي أداء العمل، حيث كان هذا مسلكه في عمله. ولم أكن أشعرُ بالمعاناة من الدوام المسائي إلا بعد أن أصبح لدي أبناءٌ بحاجةٍ إلى الرعاية ومتابعة تحصيلهم الدراسي.

حقاً إنني ما زلتُ أُحبُ عملي ولكن ينتابني الضيقُ والقلق وأحياناً الندم على الاتجاه لعملٍ محددٍ كالتمريض بسببِ نظامِ الفترتين، وأفكر بالانتقال إلى عملٍ كتابي، أو مراقبةٍ في مدرسة، أحضرُ صباحاً وأنصرف في الظهيرة حتــى ولو فقدتُ جــزءاً من مرتبي ومميزاته!! هذا إذا لــم يُعدَّل الدوامُ ولو لفئةٍ مــن الموظفات ليتزامن مع دوام المدارس. وهــذا الأمر مشتركٌ بين موظفــات المراكز الصحية ممن لديهن أبناء ويعملن في الصباح والمساء ســواء طبيبات أو ممرضات! وتنتفي المعاناة ممن ليس لديهن أطفال حيثُ يجدن نفسَ المتعة التي كنت أجدها قبل أن أرزق بأطفال.

فهــل تَتْــرك هــذه الممرضةُ عملهــا وهي تشعــر بالانتماء لــه؟؟ وهي (العصامية) التي تكسبُ بيدها اليمنى وتُهدهدُ أولادها بيدها اليسرى وتدفع عجلة الوطن بسواعدهــا الأمينةِ المخلصة؟! ولو انتقلتْ إلى دائرةٍ أخرى.. ألن يخسرَ الوطنُ إحدى الأجنحة التي تُحلقُ به نحو النماء والبناء؟!!

ألا يمكـن أن يمنـحَ الوطـنُ لهـذه الممرضـةِ وزميلاتهـا الاستقرارَ ولأبنائهـا الأمـانَ والدفءَ في أحضـانِ والدتهم لتقيهم صقيـعَ الحوادثِ وهبوبَ رياح الأيام؟!

فهل يتكرم معالي وزير الصحة ويُضفي عباءة حنانه على هؤلاء الأطفال وأمثالهـم لينعموا بالـدفء وحرارة المشاعرِ مع والدتهـم مساءً، ويحتسوا مـن هذا المعين الذي لا ينضب، والذي أجـزم أن معاليه وهو كبير يجتاحه الحنين للعودة لأحضانِ والدته الدافئة! فكيف بأولادِ ذواتِ الدوامين؟!!

بعـد نشر المقال أصدر الوزير د. حمد عبدالله المانع دمج الدوامين ليكونا دواماً واحداً.

الطابور
الثاني!!

obeikan.com

obeikan.com

مكاتبُ متناثرةٌ في غرفةٍ يُفترضُ أن تكونَ صحيَّةً لأنها تابعةٌ لإدارةٍ تُعنى بالصحة! ولكنها غير ذلك، فالاهتمام يتركزُ في غرفة الطبيبِ والطبيبة، أمَّا غرف الاستقبال التي تزدحمُ بمكاتبَ عرضها يلتهمُ اتساع الغرفة، فترى ممراتٍ ضيقةً تجدُ المريضةُ العناءَ قبل الوصول إلى الممرضة لأخذ الحرارة واستلام ورقة تحمل رقم الدخول للطبيبة.

ومن المعتاد حين يدخل المرء أي مكان أن يتجه مباشرة لأقرب شخصٍ لقضاء ما حضر لأجله.. لذلك رأتْ الممرضة «ماجدة» أنها كلما ابتعد مكتبها للداخل سلمت من المراجعات!

«ماجدة» تصرف جُلَّ وقتها على أناقتها، فلا تحضر للعمل إلا بعد أن تكون قد أمضت وقتاً طويلاً في تصفيف شعرها ووضع الماكياج كاملاً على وجهها، وترتدي معطفها الذي عادة ما يكون نظيفاً بشكلٍ دائم فهي تحافظ عليه حتى يظلَّ شكلها برَّاقاً!!

obeikan.com

ولـم يسبـق أن اشتكى منها أحدٌ مطلقاً علـى الرغم أنها تعمل منذ مـا يُقارب العامين، كما أن علاقاتها مع الإدارة وزميلاتها والمراجعات ممتـازة جداً. فهي قليلة الكلام ونادراً ما تُبدي رأيها حول تطوير العمل، ومشارِكـة فعَّالـة لزميلاتهـا فـي جلـبِ الأطعمـة والحلويـات ومجلات الأزياء!

وبالمقابـل هنـاك فـي الواجهـة الممرضـة «وداد» تقـاوم اجتيـاح المراجعات وتذمرهن وزعم كلٍّ واحدةٍ أنها هي التي حضرت قبل الأخرى واحتجـاج تلك الأخرى علـى ذلك، فتقوم بفض الاشتبـاكات وترضيتهن، إضافـة إلى أنها سريعة الحركة كالفراشـة، نشيطة مخلصة تُحبُّ عملها وتعطـف على المراجعات وتبذل ما في وسعهـا لإرضائهن. وغالباً ما يقع عليهـا الضرر حين تقوم إحدى المريضـات بالدخول على الطبيبة فتصر المراجعـة الأخـرى أنها هي التي حضـرتْ أولاً، فتجـد الممرضة «وداداً» تحاول العدل ما استطاعتْ إلى ذلك سبيلاً إلا أنه يقع عليها الظلم وتدخل معهـا المراجعات في مشـادات، وكثيراً مـا ورد اسمها لـدى الإدارة بأنها قصَّرتْ في عملها وتدخلت بين المريضات بحجةِ أنها تُقدِّم وتُؤخر حسب هواها، والشكوى منها بأنها غير دقيقة بمقياس الحرارة، ولا تُطهِّر الجرح جيـداً، كما أنها لا تلـف الضماد كما هو مطلوب! فتلجـأ الإدارة للتحقيق معهـا مـراراً فيظهر الجـور والظلم عليها فـلا تنصفهـا الإدارة غالباً بل تكتفـي بنصحها وأحياناً لفت نظرها وتنبيهها!! فما يكون منها إلا الصبر واحتساب أمرها إلى الله تعالى. وإذا رنتْ لزميلتها «ماجدة» وجدتها تعيش في نعيم، فلا شكوى منها ولا تذمر... لأنها ببسـاطة لا تعمل... فلا يظهر صوابهـا أو خطؤهـا، كما أن الممرضـة «وداداً» ذات خُلـقٌ رفيع فهي لم

تنبــه إلى تقصير زميلتها وتقاعسها عن العمل وترى أن المسؤول عنها هو المحاسب على تقصيرها ومُطالبٌ بتوجيهها.

وحيــن يحصــل أن تثنــي بعض المراجعــات المريضــات علــى عمل الممرضــة «وداد» وحنوهــا وعطفها عليهــن فتلهج ألسنتهــن بالدعاء لها بالتوفيــق، تتملــك زميلاتهــا الممرضــات الغيــرة والحســد حين يرين معاملتها الحنونــة الراقية للمريضات ولا يجدن فــي أنفسهن القدرة على الاقتداء بهــا فيدبرن لها المكائد مــع الإدارة وبعض المراجعات ويعمدن إلى شكواها.

لاقــتْ «وداد» في عملها العنت وفكرت كثيــراً بتغيير مكان العمل على الرغــم من قربــه لمقر سكنهــا. لعلها تستطيــع بناء علاقــات جديدة مع الزميــلات والإدارة وقد تحقق لها ذلك حين قررت الانتقال لمركزٍ صحيٍ آخر يبعد كثيراً عن مقر إقامتها، ولكنها تنشد الراحة والسكينة والهدوء، إلا أنــه بعد مرور وقتٍ قصيرٍ من مباشرتها للعمل عادت الشكوى والتذمر من الزميلات والإدارة وبعض المراجعات!!

أحسَّتْ «وداد» أن هناك خطأ لابد من اكتشافه فلا ينقصها الإدراك والعقل والحكمة بل إنها كثيراً ما عالجت مشاكل من حولها بأسلوبٍ رائع، فلِــم لا تعالج مشكلتها؟! لــذا رأت أن تراجع حساباتها جيداً، فربما يكون الخطــأ ليس في العمــل السابق أو الحالي، بل قد يكمــن الخطأ بحماسها وإخلاصها وأمانتها ومبادئها الراقية التي لا يفهمها بعضٌ من حولها.

وأخيــراً نجحت «وداد» في علاج معضلتهــا وانتهت حيرتها. فقد كان الحل بين يديها وتحت عينيها، فَلِمَ لمْ تنتبه لذلك؟

جالـت بالنظر في مكتب الاستقبال، ووجـدت أن هناك مكاناً شاغراً خلف مكاتبَ زميلاتها المتناثرة في الغرفة بلا ترتيب، إن مساحة المكان صغيرة ولكنها تتسع لمكتبٍ صغيرٍ جداً.

في الغد استبدلت طاولة مكتبها الكبيرة بأخرى صغيرة!

مرَّ الشهر الأول تبعه الثاني، بل مرَّتْ السنة الأولى والثانية، والممرضة «وداد» لا تشعـر بالإرهـاق وصحتهـا تـزداد تحسناً، ومعـدل التوتر لديها يتناقص سريعاً، كما أن الشكوى منها قد توقفتْ تماماً بل أصبحت صديقة الجميع وملاذهم فهي تعيش في أجواءٍ من السلام، سوى ما تشاهده بلا اكتراث من مشاداتٍ بين المراجعات ومحاولة زميلتها النشيطة المخلصة الممرضـة «عهود» من فض الاشتباكات وتحقيق العدالة بينهن، مع ارتفاع صوت إحداهن بأنها ستشكو الممرضة «عهود» للإدارة!

الممرضـة «وداد» ترقـب الأحـداث وحيـن تشاهد الوضـع المأساوي لزميلتهـا الرائعـة «عهـود» تنتابها بين حيـنٍ وآخر وخزات مـن الضمير المُتَّقِد بالمبادئ الرفيعة الكامنة المُخمَد بعنف الإحباط! وتهمُّ بمساعدة زميلتهـا والوقـوف بجانبها وتخفيـف معاناتها فقد كانـت صاحبة معاناة سابقـة حين كانت نشيطـة أو... مندفعة كما يزعمـون! ولكنها لا تلبث أن تهدأ، ولا بد أن تهدأ! فليس هناك مركز صحي يقبل أن تعمل به الممرضة «وداد».

لأنها ذات مشاكل!

لا ... بل صاحبة سوابق!!

كانت في الطابور الأول!!

إدارة
شؤون الزيرا

obeikan.com

obeikan.com

تُضخَّمُ بعض الدوائر الحكومية وتُملأُ موظفين وكتبة، بدعوى التطوير! والحقيقة لا تعدو عن كونها تدوير للمعاملات حتى تصل إلى استدارة في الرؤوس، دونما الوصول للهدف المنشود، أو الحصول على النتيجة المطلوبة!

وفكر ة التطوير لا شك أنها ما تصبو إليها النفوس السَّوية وما تطمح لها العقول النَّيِّرة، ولكن أن يكون التطوير تكاثراً في نفس الدائرة فهذا الذي ترفضه العقول. ولعلي أحومُ حول الحمى!!

وإن كان الشيءُ بالشيءِ يُذكر، فإنه يُروى أن أحدَ الولاة مرَّ على قريةٍ تابعةٍ لولايته ولاحظ أن ساحة السوق تفتقرُ إلى وجود الماء البارد، فأمر بشراءِ زيرٍ وملئهِ بالماء وجعله سبيلاً لمن يعطش، وبعد فترةٍ قصيرة اشتكى أهلُ السوقِ للوالي أن الزير حين ينفد ماؤه تنتفي فائدتُه، لذا فهُمْ بحاجةٍ إلى منْ يقوم بملئه والاهتمام بنظافته، فعيَّن الوالي عاملاً لهذا

الغرض إلا أن العامـل سرعان ما تنصَّل عن المسؤولية! مما جعل الشكوى تتكرر للوالي ولكن هذه المرة خَصُّوا بها العامل، وطالبوا بوضع رِقابةٍ عليه فما كان منه إلا أنْ عيَّن رجلاً يكون مسؤولاً عن العامل المسؤول عن الزير!! فقـام بعملـه خير قيـام! إلا أن الأمر لـم يستمرّ طويلاً حيـث تكاسل ذلك المسؤول عن مراقبة العامل، ولم يعد الأخير يهتم بالزير وبشؤونِه!

عـادت الشكـوى للوالـي مـن كلا الموظفين مِمَّا حدا بـه إلى تعيين مديـرٍ يكون مسؤولاً عـن كلا الرجلين من حيث أدائهم للعمل وتوفير الماء وصيانة الزير الدورية، كما يقوم بتسليمهم مرتباتهم الشهرية.

تحسن الوضع قليـلاً، ولكنهم عاودوا الإهمال مرة أخرى حيث تتأخر المرتبـات فيتراخـى الموظفـان عـن أداء عملهمـا! وبما أن أهـلَ القرية اعتـادوا شُرْبَ الماء البـارد النظيف، لـذا توجهوا بالشكـوى للوالـي وكأن الحصـول على الخدمـات لا يتحقق إلا بعد الشكوى!! ممـا دعاه إلى تشكيلِ لجنةٍ لبحـثِ شؤون الزير! فتمخضتْ اجتماعات اللجنة عن ضرورةِ إيجادِ إدارةٍ متكاملـة لشـؤون الزير ابتـداءً بالمدير العام ومديـر مكتبه ونهاية بالحرَّاس والمستخدميـن مـروراً بموظفـي المحاسبة والشـؤون المـالية وموظفـي الشؤون الإداريـة، تعريجاً علـى الأرشيف وقسـم الاستعلامات والسكرتاريـة كما كان للمراقبين الصحيين والجودة النوعية دورٌ بارز في هـذا الخصوص للاهتمام بنظافة الماء وعدمِ وجـودِ شوائب أو زيادةٍ في نسبة الكلور حِفاظاً على صحةِ مرتادي السوق!!

وهُيِّـئَ لكل أولئك الموظفين مبنًى ضخمٌ يضمُّ مكاتبَ فخمة وخدماتٍ راقيـة مما أغرى البائعين في السوق إلى الانخراط في الوظائف المريحة وتركوا عملهم الأساسي الذي من أجلِه أوجِدَ الزير!!

وبعد مرور فترة من الزمن قرر الوالي أن يقوم بزيارةٍ تفقدية لتلك القرية، وتذكر الزير والشكاوى التي توقفت فاطمأن إلى حسن تصرفه. وقام بجولته مبتدئاً بالمبنى الضخم ومروراً بإداراته المختلفة، ووجد موظفين منكبين على أعمالهم من صادرٍ لواردٍ لإجازاتٍ اضطراريةٍ ومرضيةٍ واستثنائية، وبدَلات وترقياتٍ ومعامل لقياس جودة المياه وملاءمتها للصحة. وحين أنهى جولته على المكاتب رأى أن يطَّلِعَ على الزير، ولا تسأل عن مدى المفاجأة والذهول حين وجد الزير أو قُلْ بقاياه في حالةٍ من الإهمال! فقد عبثت به عوامل الطقس من حرارةٍ وبرودةٍ ورياح السموم حتى أحالته إلى قطعٍ متناثرة من الفُخَّار وبجانبه الكوب المعدني العتيق والغطاء الخشبي المتهالك ينبئك عن تقادُمِ العناية والاهتمام!!

لقد ضاع الهدف، رغم كونه هدفاً نبيلاً ورائعاً، وما أكثر الأهداف المفقودة التي باسمها شُيِّدتْ مبانٍ وأحضِرتْ معداتٌ وأجهزة وآلات، وعُيِّنَ موظفون يحضرون صباحاً وينصرفون عصراً. وأثناء ذلك يمدون موائدهم للأكل وتتداول بينهم أوراقُ حساب الرواتب والعلاوات والجمعيات، وتضيع أوراقٌ رسمية ومعاملاتٌ مصيرية لبعض أفراد المجتمع، أو يماطلُ الموظف في تسليم المعاملة لعدة أيامٍ ويتكبد المُراجِعُ المشقة لإنهاء معاملةٍ بسيطةٍ لا تتطلب سوى توقيع!

إن ارتباطَ الأعمال بالتسويف والتأجيل والإهمال مع ادِّعاءِ التطوير وذلك باستحداثِ إداراتٍ عامة للتطوير، والرقي بمستوى الأداء ورفع شعار الاهتمام بالمواطن المراجع يجعلنا نُصابُ بالحيرة ويدعونا للتساؤل:

هل تُسلَّم القطاعاتُ الخدَميَّةُ للقطاع الخاص ابتعاداً عن البيروقراطية التي من سماتها الكسل والبطء في اتخاذ القرارات وتنفيذها وبالتالي التسويف، مع نقص الرقابة والمتابعة لسير العمل حتى يملَّ صاحبُ الحاجة فيصرفَ عنها النظر؟ وهل التخصيص في الصحة والتعليم والخدمات الأخرى من صالح المواطن؟ وإن كان كذلك فلمَ التأخير إذاً؟! لأننا نلاحظُ أن الموظفَ ما أن ينتقل للقطاع الخاص أو يُخصص القطاع نفسه حتى تتغير النغمة في التعامل الإنساني ومكتبه لم يتغير! وهنا تخيب جميع المحاولات في التدريب وإعادة التأهيل وظيفياً.

أكادُ أجزم أنّ لو أُعيدتْ فكرة الزير وإدارته بشرط إسنادها لشركةٍ متخصصة في مجال المياه لنعِمْنا بمكانٍ ترفيهيٍ للشرب! أُسْوة بأجهزة الصرف الآلي الذي ما أن تدخل المكان حتى تشعر بالأمان وتستمتع بالهواء المنعش وتستلم نقودك مع الشكر لك!

فمتى نتعلم ونتداوى ونشرب دون عناء؟؟

يكون ذلك حين يُخصصُ مكانٌ صغيرٌ في «الزير» تُدْخِلُ به بطاقتَكَ ورقمك السري فيأتيك ماءً زُلالاً و... بالنكهات!!

لِمَ
يا بُنيّ؟!

obeikan.com

obeikan.com

حامـد... الابـن الأكبر أو هـو الأصغـر إن شئت هـو باختصار وحيد والديـه، تفتحـت عيناه على والـدٍ مسنٍ، فلم يُـرزق أبو حامدٍ بـأولادٍ في مقتبـل حياته إلـى أن أكرمَه الله بالأبوة في شيخوختـه ... وقد نال حامدٌ مـن التدليل الشيء الكثير!! حتى أن والديه يشفقان عليه من حملِ حقيبته المدرسيـةِ فتجـدُ والده المسن يحملهـا إلى بوابة المدرسـة، ويتمتم بآية الكرسـي والمعـوذات كل صباحٍ خشية أن يفقدَ حامـداً في لحظةٍ ما! حتى لقد سيطر عليه هاجس الفراق في لحظاتٍ عدة، ولكنه رجلٌ مؤمنٌ يعلمُ أن الآجـال بيدِ الله، إلا أنه ما انفك يفكر بمستقبلِ ابنه عندما يكبر فلا يجد والـدَه أمامه، وتارة ينقلب التفكير رأسـاً على عقب فيوسوس له الشيطان أن يخرجَ حامدٌ من بوابة المدرسة فتخطفه إحدى المركبات وترديه قتيلاً لدرجةِ أنه كَرِه كلَّ مركبةٍ تسير على أربع عجلاتٍ أو تزيد!!

obeikan.com

ولا أخالك إلا مُتعاطفاً معه وأنت ترى انكساره في تلك اللحظات ومشفقاً عليه وهو يمسح دمعة حرَّى بطرف (شماغه) العتيق، فكما أن الله لم يمنحه الذرية إلا في خريف عمره لم تجد الدنيا عليه بالزينة الأخرى (المال) بيد أن إيمانه بربه وقناعته أن الله هو أعلم بما يُصلح عباده يجعل جسدَه النحيل كالطودِ أمام إعصار الحيرة التي تقتلعه عندما يرى بعضَ زملائه وهم ينعمون بالأموال والأولاد وينقصهم الكثيرُ مِما عنده من أمانة وإخلاصٍ في العمل وتعاملٍ رائع مع أفرادِ مجتمعه!

ولما تراه ساجداً متبتلاً لربه شاكراً لأنعمه تتملكك رهبة الإيمانِ واستقصاءِ حكمة الله في خلقه. ولكنك حين تجده هلعاً على ابنه تشعر بالتناقض والضعف الذي يتلبس الإنسان! ويظهر ذلك جليَّاً عندما يكون حامدٌ مريضاً بأحد الأمراض التي يصاب بها عادة الأطفال، فهو لا يثق بالأطباء، ويشفقُ على ابنه من مرارة الدواء! وكم سهر ليالٍ طوالٍ يراقب حرارة ولده، وكثيراً ما وضع يده على جبين ابنه وهو يتمنى أن تنتقل الحرارة من ذلك الجبين إلى جسده الهزيل، ولم يتبرمْ من هذا العمل أو يمل طيلة ثمانية عشر عاماً أو تزيد.

حامدُ الآن في الصف الثالث ثانوي تمتدُّ قامته أمام والده الذي يجد فيه التعويض عمَّا فقدَه أولم يحصل عليه، فتراه تارة يلاعب ابنه كما لو كان طفلاً يُناغي! وتارة أخرى يداعبه كما لو كان صبياً يرتعُ في فضاءِ الصبا، وثالثة يغضبُ عليه حين يُقصِّر عن أداء الصلاة في وقتها إلا أنه لا يلبثُ إلا قليلاً فيعود للملاطفة والتسامح.

سلسلةٌ من العطاءِ الأبوي لا تنتهي حلقةٌ إلا وتبدأُ الأخرى أكثر اتساعاً بالعطـف، وأقوى إحكاماً بالحنان! وما والدة حامدٍ ببعيدٍ عن هذا، ولكنها تُخفـي كعـادة كلِّ الأمهات مشاعرها داخـل قلبٍ يجري فيه حـبُّ أسرتها كجريـانِ الأنهار نحـو البحر! ولا تكاد تطلـبُ من ابنها قضـاءَ أي احتياجٍ لهـا أو لأبيه كـي لا تشغله عن أداءِ واجباته، فهو فـي مرحلةٍ دراسيةٍ مهمةٍ قـد يحقق النجـاح، وقد يفشل، وقـد ينجح بفشلٍ حين يكـون مستواه دون القبـول بالجامعة! وهكذا كان حامد، فقـد خيَّب أمل والده الذي كان يأمل أن يصبح ابنه في مركزٍ مرموقٍ يعوِّض نقص أبيه المادي والاجتماعي.

لـم يحقـقْ حامـدٌ المستوى المطلـوب في إتمـام الشهـادة الثانوية، فلم يحـظَ بالقبول بالجامعة. ولقـد تدرَّج في سُلَّمِ الفشل منـذ كان طفلاً، وصبياً ومراهقـاً، وتعوَّد الاتكاليةَ علـى والديه. فأوامره مُجابة قبـل أن يهمَّ بطلبها، حتـى جاء وقت التسجيل بالجامعة فأصبح يُلح على والديه بالبحثِ عن وسيطٍ لدخول الجامعة حتى طرق والده جميع الأبواب الموصدة وسكب ماءَ وجهه على (أبـواب) أو إن شئت (أقدام) أشخاصٍ كان يظن في قرارة نفسه أنه لن يلتقِ بهـم لأسبابٍ يعرفها هو ويعرفونها هم جيداً. ولقد استجاب له البعض وأشاح آخـرون وجوههم حتى استنفد ماءَ وجهه ولم يتبـقَ إلا دمـاء قلبه في لحظاتٍ استفزازيةٍ له، ومطرقـة إلحاح ابنه بالدخول لكليَّةٍ بعينـها تهشم سندان قلبه إلـى أن استجاب لـه زميلٌ قديـم فاقه بالعلم والسفر لطلبه على الرغم أنه لم يكـن في بداية حياته شيئاً مذكوراً، ولكنه اعتـرف أخيراً لزميله بالتميزِ عليه لتقدمه بالعلم وليس بالضرورة متفوقاً عليه بالأمانة والصدقِ والإخلاص!

أخيـراً دخل حامد الكليـة المرغوبة، لكنه أفاق ذات لحظةٍ على والده وهو يهذي مكلوماً:

لِـمَ يا بني.. لِـمَ لَمْ تستذكر دروسـك جيداً وتحـرز الدرجات العالية لتتمكن أنتَ بنفسِك من الالتحاق بالكلية التي تريد والقسم الذي تهوى؟؟!

لِـمَ يا بني تُهـدر كرامتي وأنا الذي حفظتها لـك وتعاهدتُ تربيتك، وكرهـتُ المركبات السائرة على الأرضـ، والمحلقة في السماء، خوفاً من أن تخطفك الأولى أو تجهدك الثانية!

- لِمَ يا بني؟ لِمَ لَمْ تُحقق نجاحَكَ بجهدك؟؟

حامد.. يا بني ... ليتَكَ ما أتيت!!

* * *

● صورة مع العتب لكلِّ طالبٍ اعتمدَ على واسطة والدِه وهو يستطيعُ أن يكون أحدَّ وأقوى من الواسطة!!!

الرِّهان!!

obeikan.com

obeikan.com

تنشرُ الشمسُ أشعتَها الدافئة في أرجاء المدرسة.. تتوافدُ التلميذاتُ مبتهجاتٍ، يتحدثن عن الصيام وكثيرٌ منهن يجهلن أحكامه. وتعمدُ بعض الأسـرِ إلى إلزام الصغيراتِ بالصوم هرباً من مسؤوليةِ إعدادِ الطعام في النهار!!

نفسُ هذه الشمسِ تشرقُ على وجوهٍ مكفهرةٍ، وكأنه قد ارتبط الصيامُ مـع العمـلِ بالتذمـر، أضف إلـى ذلك تزامنَ وقـتِ الامتحانـات مع شهر رمضان (طامة كبرى) لدى بعض المعلمات!

توزع مظاريف الأسئلة على الملاحِظات.. تتسلمُ كلٌّ ملاحِظةٍ مظروفاً بامتعاضٍ، وتنظرُ كلٌّ واحدةٍ نحو الأخرى ولسان حالها ينتقدُ قرارَ الدراسةِ في رمضان، فما بالُك بالامتحانات في هذا الشهر؟!

تنطلـق جميعهن تجاه قاعـات الامتحان.. يسود المـكانَ هدوءٌ يبدده تقليـبُ الأوراقِ، وكل معلمـةٍ تسبـحُ في بركةٍ مـن الأفكارِ التي لـو عُرِضتْ

openkan.com

لوجدتها متقاربةً فالتذمر من الدراسة في رمضان غالباً ما يكونُ هو المسيطر في الأيام الأولى يعقبه التفكير في أطباق الإفطار!

المعلمة (أمينة) لديها ضيوف على طعام الإفطار هذا اليوم، وعليها تصحيح أوراق مادتين لستين طالبة، أي مائة وثمانين صفحة حيث أن كلَّ طالبة تكتب ثلاثَ صفحاتٍ مما لُقِّنتْ إياه طوال فصلٍ دراسي! وبالحساب البسيط هي بحاجةٍ إلى ثلاثِ ساعاتٍ للتصحيح لو استغرقتْ كل ورقة دقيقة واحدة، أضف إلى ذلك وقتَ المراقبةِ على اللجنة.. لم تجدْ (أمينة) معه بُدَّاً من إبداء التذمر بصوتٍ عالٍ أثناء التصحيح. وحين أنهتْ رصدَ الدرجاتِ اتجهت للمرشدة الطلابية، تلك المحظوظة بعدمِ تصحيح الأوراق كما هي غير محظوظةٍ بالمستوى الوظيفي الخاص بالمعلمات!

قالت المعلمة (أمينة): حقيقة أقصر الناس أعماراً المعلمون! وكما رأيتِ كنْتُ في مراقبة على اللجنة، تبعها تصحيح الأوراق، وعند المغربِ سنستقبلُ ضيوفاً على الإفطار!! كما أن لدي أطفالاً في سن الدراسةِ يحتاجون لمراجعة الدروس والاستذكار للامتحانات! أنى لي الوقت الكافي لأنفذَ جميعَ هذه الأعمال؟! ابتسمت المرشدة الطلابية وقالت:

إن الشجاعةَ أن تموتَ من الظمأ ليس الشجاعة أن تعبَّ الماء عبَّا

ردتْ المعلمة بسخريةٍ: ماء.. وفي رمضان!!

تابعت المرشدة حديثها: نعم.. وهل لا بد من ضيوفٍ على طعام الإفطار في وقت الامتحانات؟!

قالت المعلمة: المجتمع لا يعرفُ امتحانات ولا غيرها ... أمرٌ تعارفنا عليه لا بد من الرضا به. اعترضتْ المرشدة: ولمَ لا بد من الرضا

به؟! هل هو شرطٌ من شروطِ الصيام أو من واجباته؟! ثم من هو المجتمع الذي سنَّ هذه العادة؟! أليس المجتمعُ هو أسرتي وأسرتك؟!

قالت المعلمة وهي تتأوه: هي سُنَّةُ الرجال الذين فرضوها على أُسرِهم، فزوجي مثلاً يخجلُ ألاَّ يدعو أحداً على طعام الإفطار بحجة أنني موظفة، وأن لدينا أطفالاً في سن المدرسة، فيلجأ إلى إحضار الأكل من المطعم ويتكلفُ كثيراً! قاطعتها المرشدة: من مميزات رمضان أنه يخففُ ولا يُكلف وتُختزلُ الوجباتِ الثلاث إلى وجبتين خفيفتين تطبيقاً لدعوة الرسول عليه السلام «بحسبِ ابنِ آدمَ لقيماتٍ يقمن أوده».

ابتسمت المعلمة بسخريةٍ لتقول: أظن أنه لا يخفاكِ أمرُ الموائد الرمضانية، وما يُتركُ أكثرُ مما يؤكل...

قالت المرشدة بألمٍ: نعم، إنني أُدرك ولكن لا أفعل إلا ما أراهُ صحيحاً، وأقتنع به. فأنا حقيقة دأبتُ على مقاطعةِ الولائم الكبيرة ولا أحضر إلا ما كان منها مختصراً وبدون سرف، وهذا شرطي للحضور عادةً ومنْ يحرصْ على لقائي يسعى لإرضائي! وفي المقابل ندعو الأعزاءَ إلى منزلنا، وحين يشعرون بالبساطة يكررون الزيارات أحياناً دون دعوة ويفرحون بحضورنا إلى منزلهم، فنحن في زياراتٍ لا تنقطع، وفي ودٍّ لا يفتر، دون حمل همومٍ لزيارةِ قريبٍ أو صديقٍ للعائلة، وما تحمله هذه الزيارة من تبعاتٍ!!

قالت المعلمة: ولكن هذا يؤدي إلى القطيعة!

استدركت المرشدة: أقصد أن تقاطعي الولائم ولا تقاطعي الأشخاص، أبقي علاقتكِ بهم، زوريهم بعد الوليمةِ بوقتٍ قصيرٍ بهدف الزيارة والاشتياق لا بهدف الأكل! وسيرحبون بك ويحبونك

ويحترمـون رغبتَكِ وتكونين على رأس مجموعة المدعواتِ لحفلةٍ بسيطةٍ قـد تشتركين في إعـدادِ طبقٍ بسيطٍ في عمله ومكوناتـه. دعيهم يقتنعون برأيـك حيـن تدعينهم لمنـزلـك دون كلفةٍ وكلمـا كان الأمرُ غيـر مُتكلفٍ شعـر من حولك بالبساطة.. ابدئي أنتِ وستجديـن غيرَكِ يتبعُكِ في هذه السُّنَّـة، ألا تعتقديـن أن القطيعةَ بين الناسِ الحادثـة حالياً بسببِ الجهد والتكاليف؟!

ـ هذا صحيح، والحقيقة أجدني مقتنعة بكلامِك، فماذا عن زوجي؟

ـ يا عزيزتي إنني أعزو سلبية الإسرافِ في الموائد للسيدات، فالرجال ينسـون ما أكلوا بمجردِ خروجهـم، وانفضاضِ جلساتهم فهم يريدون أكلاً لذيذاً حتى ولو صنفاً واحداً، بينما نحن السيدات ننتقدُ كلَّ ما أُعِدَّ لنا ابتداءً مـن طريقةِ التقديم وانتهـاءً بشكلِ الملاعقِ والسكاكيـنِ، مروراً بأصناف الأكل، حتـى اتساع المائدة، لدرجـة أنَّ بعضَنا تضعُ في وسطِ المائدةِ نوعاً مـن الأطباقِ لا يمكنُ الوصولُ إليه إلاَّ (بالصنارة) بدعوى الكرم، ولو وقف سائـلٌ عند البابِ لرفضـتْ إعطاءه بدعوى أن الطعام لا يكادُ يكفي!! وحين ينتهي الضيوفُ من تناوله، تحضرُ وعاءً فارغاً تقذفُ فيه كلّ محتويات طبقٍ مرّتْ عليه الملعقة بحربٍ أو سلام!! أو لم تمرّ به بتاتاً! يا عزيزتي كل ذلك من أفعال السيدات المسرفات. أما السيدات العاقلات فهن يغلبْن الرجال الكرام بفكرهن وتدبيرهن معيشة أسرهن وتقديرهن للنعمة. وسعيدٌ ذلك الرجل ممن تغلبه المرأة الحكيمة برأيها السديد!

قالت المعلمة (أمينة) بتأوه: وأين الرجل الكريم؟؟!!

ـ بل أين المرأة الحكيمة .. هكذا قالت المرشدة كنوعٍ من التحدي.

ـ أتدرين.. سأحاول تطبيقَ ما أشرتِ له ولكنني أخشى من تعنيفِ زوجي!

ـ المهمُ قناعتُكِ أنتِ، أما زوجكِ فأنا أُراهن على رأيه!!

انتهى اللقاء بين المعلمة والمرشدة، والحقيقة أن الثانية متوجسة خيفةً من زوجِ زميلتها فكيف تراهنُ على رأيه وهي لا تعرفه أصلاً!! ولكنها قالت ذلك كتحدٍّ لزميلتها واستحثاثٍ لها لإصلاح بعض السلبيات الاجتماعية وأهمها الإسراف في الموائد لا سيما في شهر رمضان هذا الداء الذي يحتاج لاستئصال وها هي تبذل جهودها مع زميلتها، إلا أنها تدرك معنى قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ومجابهةُ المجتمعِ تحتاجُ لقوةِ الرجلِ لمحاربة السلبيات التي تُشوِّه وجهَ مجتمعنا الكريم فعلاً بأخلاقه وبمحتواه وليس بشكلياته ومظاهره.

* * *

في الغد، تُعيدُ عجلةُ الحياة دورتها بانقضاءِ يومٍ من أيام رمضان مرَّ على بعض الأسرِ حققتْ فيه نجاحاً بدقةِ التنظيمِ، وهناك أُسرٌ فشلتْ فشَلاً ذريعاً في التنسيقِ بين الدراسةِ والصيامِ والسهرِ والامتحاناتِ والزياراتِ والالتزاماتِ التي لا تنقضي!!

فاجأتْ المعلمةُ (أمينةُ) المرشدةَ بقولها: نجحتُ قبل ظهورِ النتائج!! فقد ناقشتُ زوجي حول الحديث الذي دار بيننا أمس فوجدتُ أنَّ لديه الاستعدادَ الكاملَ للقبولِ ومواجهة المجتمع، ولكنه حسب ما يقول كان يخشى أن يواجهني برأيه فتقومُ قيامتي في البيت!! لقد تأكدتُ أننا نحن السيدات سببُ هذا الهدر والإسراف، لذا جهزتُ إفطاراً بسيطاً. وقد نال استحسانَ ورضا الضيوف!!واستطعتُ بعده أن أتفرغَ لتدريسِ أبنائي دون

إجهـادٍ لأنني لم أبذلْ جهداً ووقتاً فـي الإعداد ولم ينل مني التوترُ مثلَ كل مرةٍ... لقد كسِبْتِ الرهانَ يا عزيزتي.

ابتسمت المرشدة وقالـت: كلنا كسبنا الرهان! أنتِ بحسنِ تصرفك وزوجـك بموافقته فقـد كان كريماً كمـا توقعتُ لقد غلبتْـهُ أخلاقه وقيمه ومبادئـه، وبك وبـه وبأمثالـه سينجـحُ نظـام الدراسةِ والاختبـارات في رمضـان. فاليوم الدراسي ينظمُ الوقتَ، ورمضانُ يهذبُ الفكرَ كما يُصلح الجسد!!

obeikan.com

الراتب الطائر!!

obeikan.com

obeikan.com

متذمرة كالعادة تشكو من نفاد راتبها قبل نهاية الشهر!

(سلـوى) موظفـة راتبها يتجاوز عشـرة آلاف ريال، ولكنهـا تُفاجأ قبـل نهاية الشهر بنفاده!! علاوة على شكواها الدائمة من هروب العاملة المنـزليـة من بيتهـا ورفضها العمل بسبب كثرة الأعبـاء المنـزلية وكثرة الولائـم والمناسبات، إضافة إلى تغيير أثـاث البيت بين الفينة والأخرى ممـا يجعـل العاملة تسخـط على الوضـع الفوضوي ثم ترفضـ العمل أو تهرب! وتضطر (سلوى) إلـى إعادتها لبلدها وإحضار أخرى حتى وصل ذلك إلى رقم قياسي من استقدامٍ وتسفير فهي ناقمة على البلد الفلانـي ولربمـا تكون عمالة البلـد الآخر أفضل!! فتجدها بيـن زميلاتها لا تثني علـى أيَّة عمالة لأنها كما تقول عن نفسها لديهـا خبرة في الاستقدام... ولا فخر!!

obeikan.com

وحيـن حاولـت زميلتهـا (منى) معرفـة الأسبـاب المؤديـة للتذمر والشكوى وحقيقة نفاد الراتـب، أقرتها بصحة ذلك، وكأن له أجنحة هذا الراتب العجيب!

سألتهـا (منى): هـل سكنكم مستأجر وتشاركين فـي دفع الإيجار؟ ردتْ: إن ذلـك مـن مسؤوليات زوجي، كما أنه يقـوم بإيصالي لمقر عملي وإعادتي عند انتهاء الدوام!

وهـل لديكم التزامات كالتقسيـط أو نحوه من تكاليف مستشفيات أو مدارس أهلية؟

إن أولادنـا في مدارس حكومية، ونعالج في مستشفياتٍ حكومية أيضاً. ولو كان هناك سكنٌ حكومي أو مواصلات مجانية لما تركنا هذه الفرصة!

حاولـتْ محدثتها أن تنبهها إلى أن معظم منازلنـا قروضٌ حكومية طويلة الأجل ويحصل المواطن على حسومات حين تسديدها في موعدها. ولأن هـذا الموضوع ليس مثار النقاش، تجاوزتـه إلى نقطة أخرى ألمحت إليها (سلوى) وهـي المواصلات المجانية، لذا قالت لها: بالمناسبة نحن الموظفات نستلم بدل نقل. أليس كذلك؟!

شهقـت (سلوى) وأبدت دهشتها من بدل النقـل هذا لذا قالت: إنني أستلـم راتبي ولستُ أدري بالتفاصيل! وكثيـراً ما أضع توقيعي مكان توقيع إحـدى زميلاتي بطريـق الخطأ ـ المهم الراتب ـ وأعقبت ذلك بابتسامة جوفـاء! وأردفـتْ: وتضطر المسؤولة إلـى معالجة الأمر بـأن تضع إشارةً مـكان التوقيـع أو تحجر المكان بين ورقتين حتـى لا أعتدي على مكان من تسبقنـي أو تليني في التوقيع! قالت ذلـك ورمقتها محدثتها بابتسامة ألم

ورددت فـي نفسها: كثيرٌ من البشر لا بد مـن حجزهم حتى لا يعتدوا على حقوقِ غيرهم!

استأنفـت (منى) حديثهـا حول تسـرب الراتب الشهـري أو كما قالت (سلوى): «منـزوعة بركته!!» مسترجعة في نفسها مقولة أحد التابعين حين قال: انظر للمرء أين ينفق ماله، فإن رأيته لا ينفقه في معروفٍ فهو اكتسبه في غير وجه حق. وهي تعرف أن (سلوى) تتابع برامج التخفيضات وتجري بـل تلهث خلفها رغم أنها تدفـع أكثر من الأيام العادية وتشتري ما لا تحتاج فهي في حالة شراءٍ دائم! لذا حين سألتها (منى): هل جعلتْ بنداً من راتبها لصلـة الرحم أو الصدقة امتعضت وقالت إن كلَّ شخصٍ مسؤول عن نفسه، وأنـا أكتفي بالهدايا في أوقـات المناسبات وأعقبت ذلك بزفرةٍ شديدة، ثم تابعت: إن الهدايا تلتهم جزءاً كبيراً من الراتب فالناس لا يرضيهم القليل، ثم أتبعت ذلك بالتَّأفف من أقاربها وكثرة مناسباتهم السعيدة!!

قالـت لها (منى): ربما لأنـك أنتِ لا ترضين بالقليـل، والهدية على كل حـال رمـز أكثر منها سد احتياج أو زيادة فـي الرفاهية والحقيقة أنك تكلفيـن من تهدينه فوق طاقتـه فهو سيضطر إلـى مجاراتك في هداياك حيث سيحضـر لك هدية موازية لها إن لم تكن أفضل منها. وهكذا ندخل في قضية (المباهاة والإسراف).

وعـود على بدء في مسألة الراتب ونفـاده السريع، ألم تفكري قط ما السبب الحقيقي؟!

ألا تعتقدين أن مسألة الأمانة لها دور كبير في ذلك؟ واسمحي لي في البداية أن أقول لك:

ما ناصحتك خبايا الودِّ من أحدٍ ما لم ينلك بمكروهٍ من العـذلِ
مودتي لك تـأبى أن تسـامحني بأن أراك على شـيءٍ من الزللِ

وراحت (منى) تقول: (بدرية) زميلتنا في العمل تستلم أقل من راتبك بكثيـر ولم تشْـكُ قط من نفاده بل لم أسمعها متذمـرة أو متبرمة، ودائماً تحمدُ ربها على بركة الراتـب، فزوجها من محدودي الدخل وتساعده في قضـاء مستلزمـات الأسرة بل إنني علمتُ أنها تعيـن بعض أقاربها مادياً. ولم يُعـرف عنها تأخرها في الحضور أو تغيبهـا، وتؤدي عملها كما يجب. ألا تعتقديـن يـا عزيزتـي أن السبب في سرعـة نفاد الراتب أننـا لم نؤدِ العمـل بأمانة وإخلاص كما أوكل إلينا؟! ولعلني أذكرك بقصةٍ قرأتها: أن امـرأةً كانت لديها بقرة تحلبها وتبيع حليبها ممزوجاً بالماء وتكسب منه، ولطالمـا نبهتها ابنتها إلى مغبة ذلك حتى اجتاح فيضان قريتها وأخذ في طريقـه البقرة المذكورة وأغرقها! وحيـن جزعت الأم لذلك قالت ابنتها: أغرقهـا الماء الممـزوج بحليبها!! «ذلـك بما قدمت يـداك وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد».

إننا ننسى إن عدم الالتزام بوقت الدوام حضوراً وانصرافاً، وتواجداً، وقلـة الأمانـة في أداء العمـل هي السبب فـي نزع بركة الراتـب وهذا في الدنيا ... أما في الآخرة فسيحاسب المقصر، وسيُسأل عن ماله من أين اكتسبـه وفيمَ أنفقـه؟!! وإذا كشفنا أغطية الحقيقـة وجدنا أن وراء ذلك مديـراً متسيباً يُطلقُ عليه في العرف العـام (متعاون) أو (مرن) ولا يعلم أنـه لا يملك المكان أو الزمـان حتى يأذن لموظفيه بالغيـاب أو الإجازات الاضطرارية أو حتى الاستئذان بلا مُبرر، ويجهل أنه يعطل مصالح الناس

ويضيع حقوقهم ولا يدرك أن (من يمنع الشيء أحياناً فقد وهب!!) والله تعالى يقول ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ ونحن كلنا مسؤولون، فالطبيبة حين تتأخر عن دوامها وتترك المرضى قبل انتهاء الوقت لأنها ضمنت راتبها نهاية الشهر وغفل عنها الرقيب، فأنى يبارك الله لها!! والمعلمة عندما تتغيب أو تتأخر في الحضور وتبكر في الانصراف بالاستئذان فتعود تلميذاتها من المدرسة، لم يكتسبن من هذا اليوم إلا الاستيقاظ المبكر وارتداء المريول والعودة بخيبة الأمل! فالمعلمة غائبة، وإن حضرتْ لم تجعل الأمانة نصب عينيها بل تجدها تهدر الوقت وتحتفظ بالجهد وتبدي التذمر والشكوى.. والموظفة تحضر صباحاً متأخرة وتجد لديها طوابير من المراجِعات ولابد من الإفطار وتبادل الأحاديث الودية مع زميلاتها وتنصرف باكراً دون إنجاز المعاملات بحجة تجهيز طعام الغداء، فزوجها يحضر باكراً وكذلك أولادها وتدفع المراجعات ضريبة ذلك بالحضور من الغد ثم يفاجأن بتغيبها!

ما بال الراتب كأنه طائرٌ جميل ما يلبث أن يصل حتى يحلق عالياً وكأن جيوبنا محطة (ترانزيت)! وما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟! أ لأننا لم نعمر قلوبنا بالورع والتقوى؟! فلو حُسِبَتْ أوقات التأخير والغياب وحُسِمَتْ من الراتب لفوجئنا بالباقي! هذا الباقي هو ما ننتفع به ونستفيد منه أما (الزبد) فيذهب جفاء، ما هو إلا فستان من قماشٍ غالي الثمن لم يحسن الحائك خياطته فتراه مهجوراً في أقصى خزانة الملابس، وحذاء ضيق، وطعام يُرمى في مجمله في الحاوية، وعاملة منزلية رفضت العمل وهربت ولابد من الاستقدام وهدر جُل الراتب إن لم يكن كله في إحضار عاملة أخرى، وجهاز كهربائي عَمِلَ لفترة مؤقتة ثم تعطل فهو ملقًى في المستودع

ولابد مـن إحضار البديل الجديد. وقد يمتد الأمر إلى شراء سيارة وتكون نهايتهـا حادثاً يفضي إلى كسورٍ أو إعاقةٍ دائمةٍ وقد تكون النهاية أشدَّ من ذلك! وهكذا.. ما يأتي بسهولة يذهب كذلك.. وأصبحنا كمن يكون نصيبه من صيامه الجوع والعطش!!

اختتمـت (منى) حديثهـا إلى زميلتهـا بقولها: يـا عزيزتي هذه هي العدالـة فـي الدنيـا والله عـزَّ وجل يقـول «وألـو استقاموا علـى الطريقة لأسقيناهـم مـاءً غدقاً» والموعد آخر الشهر فلا تنسـي أن تقصِّي أجنحة راتبك بالتوبـة والأمانة والإخلاص بعملك. واسألـي زميلتنا (بدرية) عن مواصفـات المقص وشرطها أن تكوني عضـواً فاعلاً في مسيرة الإصلاح الوظيفي!!

سنوات
العطاء!!

obeikan.com

obeikan.com

بعـد مرور ثلاثـة عشر عاماً من زواجهـا رُزِقتْ المعلمـة سلمى بأول مولودٍ لـها.

المعلمـة سلمى لم تتغيب يوماً واحداً طيلة فترة عملها، وتحرص على الحضور الباكر للمدرسة استشعاراً لمسؤوليتها تجاه التلميذات الصغيرات اللاتي يرتدين مراييلهن ويحملن حقائبهن صباح كل يوم!

ولأنهـا تتمتع بما يزيد عن ثلاثة شهـورٍ إجازة نظامية في السنة، لذا ترى أنه ليس هناك داعٍ للكسل!!

وفـي نهاية كل عامٍ تتأبط شهادات تقديـرٍ وشكرٍ لالتزامها بالحضور ولعـدم تغيبها طيلة العـام الدراسي. إضافة إلى تلك الـروح الجميلة التي تسكنها وتجعلها تتعامل مع تلميذاتها وكأنهن بناتها بل هن بناتها بالفعل! وقـد اطلعت على جُـلِّ كتب التربية وكيفية التعامل مـع النشء، وهي تطبق

obeikan.com

مـا قرأته، ولا تلتفـت لآراء بعضِ زميلاتها اللاتي يجتـزن بوابة المدرسة متذمـراتٍ من المواصلات والتصحيح وشرح الدروس، وكأن مهنة التعليم مرتبطة بالشكوى والضجر!! بينما سلمى مهنة التعليم لديها متعة وهواية، لذا فهي تمنح بلا حدود ولا تبخل على تلميذاتها بمعلومةٍ لم ترد بالمنهج، فضـلاً عن النصح والإرشـاد وإدخال السعادة علـى نفوسهن حين يتخلل الدرس المرح والبعد عن الجمود!

باختصار هي... رائعة!!

كان يشغل بال زميلاتها أنها لم تُرزق بأطفال فهن يتجنبن بحضورها الحديـث عـن الأطفال ومشاكلهـم اليومية مراعـاة لشعورهـا، وكثيراً ما لهجت ألسنتهن بالدعاء لها بالذرية الصالحة. وبالمقابل هي تطمئن على أحوالهـن وتحفظ بعض أسماء أطفالهن ومراحلهـم الدراسية، ولا يخالج نفسهـا شـيء من الغيـرة أو الحسد، بل لقـد تقبلت عـدم الإنجاب بنفسٍ راضية ويقين بأن «لكلِّ أجلٍ كتاب» وسخَّرت حاجتها للأمومة بإغداق الحبِّ والحنـان على الأطفال من حولها ولطالما صبرت وبحثت عن العلاج، وقد كلَّل الله سعيها وظهرت بوادر الحمل عليها وما انفكت تدعو ربها أن تنجب ذرية صالحة.

وحيـن حـلَّ أجـل الأمومـة زاد إيمانُهـا بربهـا ويقينها بـأن الله مع الصابريـن، ولك أن تتخيلها بعد هذا الوقـت الطويل من الانتظار تُرزق بـ (حسام) طفل وسيـم الشكل بهي الملامح دون عاهةٍ، فهي تارة تحتضنه بقوةٍ حتى تخاف عليه من الاختناق وتارة تشم رائحته!! وتعود بها مخيلتها لتلـك السنوات العجاف دون طفـل! أماحين تلاعبه وتناغيـه وتعتب عليه

مـن تأخره بالقدوم فـلا تملك إزاء هذا الموقـف إلا أن تشاطرها فرحها بدموعك!!

حقاً يا سلمى تستحقين السعادة فطالما أدخلْتِها على قلوب من حولك..

فـي اليوم الستين بعد الولادة، أي بعد مضي شهرين استيقظت سلمى على ناقوسٍ يدق معلناً اقتراب الخطر!

لا يذهـب تفكيركـم بعيداً، فالطفـل بخير ويزدادُ صحـة وعافية فهو يرضع حليباً نقيَّاً، يصدر من نبعٍ صافٍ ومكمنٍ عذب تزدادُ والدته سعادة وجـذلاً كلما ارتوى! ولكن كان لزاماً أن تعودَ لمدرستها بعد انتهاء إجازتها لاستكمـال مشوارها مع تلميذاتها، فالإدارة كلفت إحدى زميلاتها بمتابعة التلميذات مؤقتاً لحين عودتها.

كيف؟ والطفل؟

وهل هـو أول طفل لمعلمةٍ يُتـرَكُ بأحضان الخادمـة؟!! التي قد تهمل وتعرض الطفل لخطرٍ ما!

الناقوس يدقُّ بعنفٍ ويُحدِثُ جلجلةً داخلَ نفسها! تلتفتُ يميناً وتطيل النظـر، والطفلُ يرفس برجليه يناديها، وزبـد لعابه يكاد ينطق بما يريد! يحـرك رأسـه، أن خذيني، احضنيني، اقتربي، لَم يعـد هناك وقت!! غداً صباحـاً لـن أراكِ! تلتفتُ يسـاراً والخادمة ماثلة أمامهـا تنتظر أوامرها وتوجيهاتهـا. تصورتهـا وحشـاً سينقضُّ علـى الفريسـة!! يذهب خيالها بعيـداً.. فقـد قـرأتْ بالصحف عن حـوادث قتـل الخادمـات والمربيات للأطفال! وبلحظةٍ مفاجئة تنتشل الطفلَ وتشرع بضمه وتقبيله. وبلحظات انهيار يـزداد احتضانها للطفل.. شعرتْ الخادمـة بخطورة ما تفعله الأم

فأسرعت لتنتزعه من بين يديها! وبلحظة ضعفٍ نفسي مشوب بقوةٍ جسدية تدفع الخادمةَ بعيداً وتصـرخ في وجهها وتطلب منها الابتعاد! وفي خضم الحدث يحضـر زوجها، فيهدئ مـن روعها، ويروح يناقشهـا بأمر الطفل ورعايتـه وأنـه لا بد من التوكل على الله وطرد الأوهـام والوساوس. وأشار عليهـا بأخذ إجازة استثنائية لمدة ثلاثة شهور لحين يكبر الطفل وتصبح هـي أكثر هـدوءاً وارتياحاً وتمنح فرصـة للخادمة للتعـرف على الصغير وقضاء احتياجاته بوجود أمه..

فـي أثناء النقاش كانت تحدث نفسهـا: وما جدوى ثلاثة شهور؟! إنها بحاجةٍ إلى ثلاث سنوات، بل ربما أكثر! إنها تفكر حقاً بالاستقالة فهذا طفل ويحتاج لرعايةٍ وعنايةٍ واهتمام، وأي طفل؟! إنه وحيد والدته واحتمال الحمل لديها ضعيفٌ جداً، والله كريمٌ ولطيفٌ بعباده!! ثم إنها سيدة تربوية تدرك أنه لابد من إعداد جيلٍ قادمٍ قادرٍ على مواجهة حياته ومنحه الأمن النفسي ابتداءً مـن الرضاعة الطبيعية، وما يتخللها مـن احتضانٍ وغرسٍ للمبادئ الصحيحة وتنمية اتجاهاته وانتمائه لحين دخوله المرحلة التمهيدية حتى لا ينشأ مـع الخادمة على مبدأ (كثرة المساس تُذهب الإحساس) وبالتالي غرس اتجاهات سلبية من حيـن يفتح عينيه الصغيرتين، مـروراً بانفتاح تفكيره ونهاية بكونه مواطناً صالحاً مكتمل الانتماء.

وتتسـاءل هـل الأنظمة بهذا الجمود بحيث لا تخـدم الموظفات ممن هن في طور الأمومة وذلك بمنحهن إجازة تربية لوقت مناسب مع ضمان وظيفتها حيـن عودتها؟ حقاً ألا يمكن إعادة النظر فـي بعض الأنظمة بحيث تتواءم مع متطلبات مجتمعنا، وتخدم العمليـة التعليمية وتحقق الأهداف التربوية؟ وبها لن تلجأ الموظفة (الأم) للاستقالة لتقوم بدورها التربوي، كما ستنتفي لدينا

مشكلـة التوظيـف وطابور انتظـار الوظائف حيـن يُفتحُ المجـال لأخذ إجازة استثنائية طويلة بدون مرتب وليس بالضرورة احتساب سنوات خدمة، فالمرأة في مجتمعنا بحمد الله ليست مطالبة بنفقة ما لم يكن لديها ظروفٌ خاصة.

وحيـن تكون الاستقالـة مقابل التربية تلجـأ الأم الواعية للأولى على الرغم من قسوتها، أما حين يكون هناك بديل فستدور الحلقة على الجميع.. هـذه معلمـة في سن الـولادة والإرضاع، وهـذه معلمة انتهـت مهمتها تعود لمدرستهـا. وأخرى تنتظـر دور الأمومة تعمل حتى يأتي هـذا الدور النبيل ونصبـح كلنا في مضمارٍ لا ينتهي طرفه إلا بابتـداء طرفٍ آخر وتقِلُ لدينا الحاجة للعمالة المنـزلية وتختفي من حياتنا مشاكلَ كنا نظنها معقدة!!

* * *

سلمى.. يا أم (حسام)... أيتها المعلمة... والأم الرائعة..

توقفي لا تكملي كتابة خطاب الاستقالة! فتلميذاتك بانتظارك..

أحضري ورقة أخرى، وابدئي من أول السطر...

معالي وزير التربية والتعليم...

رُزقْـتُ بمولودٍ وأطمح أن يكـون مواطناً صالحـاً... وأطمع في إجازةٍ استثنائية لمدة تكفي لتربيته...

عزيزتي: لا تنسي تحديد بدايتها، أما طرف نهايتها فبيد الوزير!!

* * *

بعـد نشر المقال تحقق للمعلمات إجـازة لرعاية المولود مدتها ثلاث سنوات!!

الدرس
الجميل!!

obeikan.com

obeikan.com

حيـن رُشِّحـتْ للعمـل فـي مدرسةٍ أخـرى حملتْ معهـا السمـة الغالبة على شخصيتها! وهي الانطلاق والعطاء بلا حدود مقروناً بإخلاصٍ منقطع النظير.

عملت «هيفاء» مساعـدةً للمديرة بعد أن شغلتْ في التدريس زمناً طويلاً وتعلمت مـن هذه المهنةِ إنكار الذات لكي تُكمـلَ مشوارها وتؤديَ عملها على أكملِ وجه.

وبعـد أن استلمت مهـامَ عملِها مساعـدة للمديرة وجدتْ بهـا الأخيرةُ الحماسَ فأسندت لهـا أعمالاً إضافية، وكانت أهـلاً لذلك. ولأن المدرسة كبيـرة فهي تعاني مـا تعانيه أغلب المدارس المكتظـة بالطالبات فعالجتْ قضايـا كانـت شائكـة... لذا وجـدت المديـرة نفسَهـا بحاجةٍ دائمـةٍ لها ولمشورتها، فنشأت رابطة ودٍّ بين الطرفين مع إدراك المساعدة أن المديرةَ لـم تصل إلى مرحلة النضـوج الإداري كما أنها دائماً في حالةِ ترددٍ تتبعها قرارات غير مناسبة غالباً، ولا تحقق الهدف المنشود! إلا أن المساعدة ما

obeikan.com

فتئتْ تشدُّ من أزرها، وتتركُ لها حريةَ اتخاذ القرار بعد أن توضحَ الجوانبَ الإيجابية والسلبية للموضوع وزاد إعجاب المديرة بهذه المساعدة المخلصة بعد أن لمست نُبلَ مبادئها، وإنكارها لذاتها وعدم مطالبتها بما تُطالب به زميلاتها من استئذانٍ، وإجازاتٍ، أو تأخرٍ عن الدوام، حيث انتهى العام الدراسي دون أن تطلبَ شيئاً شخصياً مع العلم أن «هيفاء» لديها أسرة وأطفال وتمر عليها ظروفٌ قاهرة مثل أي موظفة ولكنها لا تشكو من ذلك وتدرك أن العمل أمانةٌ والتزام.. وكلما تعرفت المديرة على مزيدٍ من سمو الأهداف لدى مساعدتها ازدادت بها إعجاباً..

وسار مركبُ المدرسةِ بهدوءٍ على الرغم من الزوابع التي تُصادفه! إلا أن النوايا الطيبة والرويَّةَ في معالجة الأمور أصبح الطابع العام للمدرسة. وتغيَّرت شخصية المديرة حيث أضحت أكثر هدوءاً وأقل توتراً وأشد حزماً في المتابعة بعد أن شعرت أن لديها هدفاً واضحاً وهو السبب الذي من أجله جُعِلَتْ مديرة، وعلمت أن الإدارة الجادة هي بالتوكل على الله والعزيمة والإصرار لتحقيق الهدف بأقل جهد وأقصر وقت مع الدقة والإتقان «فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين».

نعم لقد تغيَّرت مديرة المدرسة مضموناً حتى باتت لا تجدُ وقتاً تتناول فيه إفطارها بعد أن كانت تشكو من طول الوقت والملل لعدم انشغالها بعمل! وذلك الجندي المجهول يعملُ بصمتٍ متمثلاً بشخصية المساعدة المهذبة «هيفاء» المنطلقة في محيطِ عملها بلا حدود...

كان كلُّ شيءٍ هادئاً في المدرسة ما عدا نفوس البعض التي أصبحت كالمرجلِ يغلي.. فقد كانت مديرتهم تفترش سفرة الأكل فهي أول من يجلس

وآخر من يُغادر! وفي هـذه الجِلسة كانت المعلمات يختلسن هيبة المديرة شيئـاً فشيئاً حتى باتت لا ترفض لهن طلباً!! وحسبك من مديرٍ لا يرفض!! حيـث كانت الإدارة مشاعة بيد الجميـع، حتى تقويم الأداء الوظيفي يأخذُ بُعداً آخرَ في التقويم، وحقَّ لك أن تسميه تنويماً إن شئت!!

إن غيـاب المديرة الدائم عن مائـدة الإفطار جعل خيوطاً تُحاكُ في الخفاء عكس التيار! فأُثيرتْ الزوابع التي لم تهدأ، وكان افتعال مشكلةٍ ما، لا يستغرق إلا وقتاً يسيراً من قِبل تلك النفوس.

ورُفِعتْ شكوى ضدَّ المديـرة ومساعدتها بدعوى عدم العدالة وتدخُّل المساعدة في العمل بعد حصول ثورة عارمة في المدرسة أُلقيتْ بها قنبلةٌ منـزوعـة الفتيل وهـي أن المساعدة «هيفاء» هي المديـرة الحقيقية! أمَّا المديرة الرسمية فلا تعدو عن كونها «ظلا» لتلك المساعدة!!

صُعِقـتْ «هيفـاء» من هذا الأمـر الذي لم يكن فـي مخيلتها إطلاقاً فهـي دائماً تعمل في الظل على الرغم أن لها رأيـاً حكيماً وصائباً ولكنها فـي قرارةِ نفسِها لا تهوى أيَّ منصبٍ ربما يشغلها عن تأدية عملها النبيل، فاختيارها مساعدة جاء بعد إصرار المسؤولين الذين لمسوا فيها القدرة على القيام بتلك المهمة خير قيام، وكانت ترفضها لأنها تحمِّلُها مسؤولية لا تنتهي بنهاية اليوم الدراسي بل تمتد حتى لأيام الإجازات.

وكانـت كثيـراً ما تحـنُّ إلى التدريـس وتلجأ لذلك حيـن غياب بعض المعلمات المتكرر وتجـد متعةً في ذلك فهي مربية فاضلة نشأ على يديها جيلٌ من الطالبات يتسم بالإخلاصِ والصدق وتحمُّل المسؤولية كما كانت معلمتهن تزرع ذلك في نفوسهن ولا زال إيقاعُ اسمها يرنُّ في الأذان حين تُذكرُ الأمانة ويُشار إلى الصدق والإخلاص.

نجـح المخطـط المشبـع بسمـوم الغيرة والحسـد ضـدَّ المساعدة الجديـدة التي أزعجـتْ أغلب المعلمات بجدِّيتِهـا ومحافظتها على الوقت والنظـام وذلـك عندما قطعـت عليهن الجلسـات المتواصلـة بسد جدول الانتظار اليومي لعدم ترك أي فصل بدون معلمة.

ونجـاح المخطـط لـم يـأتِ بسبب هذا الأمـر فحسب بـل إن موقف المديـرة جاء داعماً له حيث دهشت لتحليل العلاقة بينها وبين المساعدة وخيِّل لها فعلاً أنها أصبحت مديرةً هامشية! ولـم تفكر بشخصية وكيلتها واتجاهاتها، بل انصرف تفكيرها السلبي إلى طمع الوكيلة بمنصبها وأنها تسعى لأن تكون هي المديرة فلم يكن من ثمة إجراء رادع إلا سعيها لتهميش المساعدة حيث أعفتها من بعض الأعمال التي تتعلقُ بالمعلمات وتركت لها أعمالاً كتابية يمكنُ لأصغـر تلميذةٍ بالمدرسة القيام بها، وأقصت مكتبها عنهـا! وأبعدتهـا عن الأمـور الإدارية فلا حضـور اجتماعـات، أو ترشيحٍ لحضـور دوراتٍ، أو إلقـاء محاضرات. كما أنها أوعـزت للموظفات بعدم اللجـوء إليها ومن تفعل تدخل دائرة التهميش!! وكأنها بفعلها تقتصُّ من إخلاصها ومثابرتها على العمل!!

حاولت «هيفاء» أن توضح للمديرة أبعاد ذلك المخطط ولكن الأخيرة لم تدع لها مجالاً مبرِّرة تصرُّفها بالعدالة بين الموظفات!!

عادت المديرة إلى مائدة الإفطار والعود في هذه الحالة ليس بأحمد! وعـادت حالة الهدوء النفسي لبعض المعلمـات! بينما البعض ممن جربن محاسن النظام أصبحن يمقتن الفوضى وكثرة الغياب والاستئذان.

أمـا الطالبـات فعلـى الرغم مـن الضرر الـذي نالهـن بسبب عودة الفوضويـة وعدم جديَّة بعض المعلمـات، إلا أن هناك جانباً مضيئاً كعادة بعضـ الشر الـذي يحمل بين طيَّاتِـه الخير فقد سُعدن بدخـول الأستاذة «هيفـاء» عليهن في حصص الانتظـار الوفيرة! حيث لم تنسَ أثناءها أنها لا زالـت معلمة.. فها هي تشرح مسألـةً رياضيةٍ كما تُعربُ بيتاً من الشِّعر فـي مادة القواعـدِ، وتُـردِّدُ أُنشودة الانتمـاء الوطني في مـادة السلوك.. وتخرج من الفصل وقد جمعت رحيق قلوب التلميذات وحبهن واحترامهن، وضوَّعت في أنحائه أريج التربية والتعليم...

وفـي آخر العام عـام الإلغـاء والتهميش للمساعدة والـذي تمقت هي تسميته بذلك حيث يحلو لها أن تسميه عام العطاء لأنها محضت المديرةَ النصيحـة وأخلصـتْ لها. عند هذا الوقـت انتهت إلـى استيعاب الدرس الجميـل وهـو أن الحماس في العمل والإخلاص شـيءٌ رائع ونبيل، ولكن لا بد من توفر بيئةٍ صحيَّةٍ لكي تنمو بذوره وترتفع سيقانه وتعلو أزاهيره حتى تقتطف الثمرة ناضجة ومكتملة النمو...

لـذا لـم تندم علـى إزجاء النصـح لمديرتها ولـم تتحسر علـى أيام الصفـاء والانطـلاق والعطاء ولكنها علمت أن بضاعتهـا كاسدة في سوق المكيدة والغيرة والحسد!!!

كُنتُ
مُديرة!!

obeikan.com

obeikan.com

تدخـلُ مكتبها الأنيق الـذي أمضتْ في تنسيقـه وترتيبه وقتاً طويلاً، واستنـزفـت بنـودَ الصرفِ علـى أركانه، وأسرفت في ذلـك ودفعت مبلغاً كبيـراً! تنادي علـى المستخدمة لديها فـي المكتب وتسهـبُ في الطلبات والأوامر ...

السيدة «شريفة» استلمتْ عملها الذي طالما حلمت به مديرة مدرسة إن شئتَ ابتدائيةٍ أو متوسطةٍ أو ثانوية.. لا يهم!!

كانت وكيلةً لفترةٍ قصيرة لصديقتها المديرة! وفجأة وجدت نفسها مديـرة! أمامهـا جدول أعمـالٍ غير منظم فـلا تعرف الأولويـات وترتيب المهمَّات!

تلفتـت يميناً وشمالاً فوجدت حشـداً من المعلمات والإداريات كلٌّ يود أن يتقـربَ شبراً إن لـم يكن ذراعـاً وكلما شاهدت من تبذل نفسها قربتها

obeikan.com

حتـى اقتربت الأغلبيـة لدرجة لم تعد تـرى أو تسمـع إلا أصواتهن ترتفع بالمدح والثناء وتنخفض بالقدح والهجاء حين ينفضضن عنها وتجمعهن المجالس النسائية كل يبدي رأيه بالمديـرة فهي تارة ضعيفة الشخصية عندما توافق على طلباتهن، وتارة أخرى متذبذبة ومتسلطة لما تمتنع عن التنفيذ، وغير عادلة تارات أخرى!

ولمـا يدور دولاب الحدث تجد تلـك المديرةَ تدور معه بحلقةٍ مفرغة في أحداثٍ يوميةٍ متكررة؛ غياب موظفات بدون مبررٍ وبلا مبالاة، فصولٍ تكتظ بالطالبات دون معلمات، تضارب في الجداول، غضب وتذمر أغلب المعلمـات من عدم عدالة توزيع الجدول!! احتجاج الإداريات على الجور فـي تقسيـم العمل. وما بال فلانـة؟! وأسئلة تبدأ بـ (لمـاذا وكيف؟) ولا إجابة!!

وفي هذه الأثناء تأتي الأعطال الكهربائية وتلف مواد السباكة وانعدام الصيانة لعـدم الاهتمام.. فهذا باب أحد الفصول يُغلقُ على مجموعةٍ من الطالبـات ولا يكاد ينفتح ولم تهتم بإصلاحه، ورنين الهاتف الذي لا يكاد ينقطـع! وأمهات الطالبـات وشكواهن على المعلمة «سعـاد» المتغيبة منذ أسبوعيـن بسبب مشـاكل الحمل وقرب موعد الـولادة وتوقف المنهج تبعاً لذلـك! وتأخر بعض المعلمات صباحاً وبقاء التلميذات دون معلمة فيعمدن إلى الصراخ والمشادات في الكلمات والحركات!!

آآآه... وهـذه المشرفة الإدارية تحضر عسـى أن تجدَ في طريقها ما يستحـق النقد والمساءلة بداية بالمرور بين أرجـاء المدرسة فلا يعجبها لون الجدار!! ولا بد من تغيير هذه اللوحات القديمة.

تريد التغيير بأي شكلٍ فماذا قدمتِ يا أستاذة «شريفة» منذ استلمتِ العمل؟

ولما تستلم سجل الزيارات تكتب كلّ ما يعن لها دون مناقشة، فكلما كتبت المشرفة الإدارية عدداً كبيراً من الصفحات وتتمنى لو كانت صفعات كلما نالت الحظوة لدى الإدارة الكبرى!! لأنها بذلك أصبحت متابعة!

مديرة المدرسة بين طبقتي الرحى... فهذه تعاميم تحتاج لتوقيع المعلمات اللاتي أصبحن يوقعن على ورق! توقيع دون إدراكٍ لمحتوى التعميم لأن هذا التعميم يعارض ما قبله أو يفسره بطريقة غامضة!

وما بين الصادر والوارد تضيع كميَّاتٌ من الورق تبدأ بالسلام وتنتهي برجاء قبول التحيات الوافرات. وكان يمكن اتخاذ القرار داخل المدرسة دون الرجوع للإدارة العليا، وجمع هذه التعاميم في كُتيِّب تطَّلعُ عليه كلُّ موظفة في بداية العام وتدون ما يختص بعملها بدلاً من ضياع وقت الموظفة بقراءتها والتوقيع عليها وعلى التبليغات الداخلية التي تلتهم وقت المديرة والمعلمة في آنٍ واحد..

هذه المديرة أو «الناظرة» كما تسمى في بعض الأقطار لا تملك من حق اتخاذ القرار إلا تنسيق مكتبها وتزيينه بالتحف والرسومات الجميلة، وحين تكون حازمةً في تطبيق النظام تجد من يعارضها ويقف ضدَّها، وتكثر الشكوى والتذمر منها، وحين تتراخى في التطبيق تضيع حقوق الطالبات وبعض الموظفات الأمينات المخلصات، عندها تعمُّ الفوضى وينعدم النظام في المدرسة!

وصاحبتنا المديرة «شريفة» فضَّلت الخَيار الثاني لتبعدَ نفسها عن الشكوى وتقضي على التذمر من المعلمات حتى لو كان في ذلك هضم لحقوق الأخريات.

واستسلمت لسباتها العميق حين وثَّقتْ علاقتها بالمشرفة الإدارية الجديدة أماناً من النقد، وستراً للعيوب ... وتبعاً لذلك رقد ضميرها على وسادة من الريش تهدهده أيدي بعض المنتفعات اللاتي يتمنين لها العون على حمل هذه الأمانة الموهومة!!

رويداً رويداً بدأت «شريفة» تنسى المهمة التي أُحضِرتْ من أجلها وتذكر فقط أنها «المديرة» تأمر وتنهى وتقصي العامة وتقرب الخاصة.. فازداد غياب المعلمات، وتراكمت المناهج على الطالبات وزاد التسيب حتى عُرف عن هذه المدرسة أن الطابع العام لها هو الفوضى. وبدأت حركة نقلٍ خفيةٍ ولم يبقَ إلا الموظفات اللاتي ليس لديهن «واسطة» للنقل! وحينها هدأتْ المديرة كثيراً بعد نزوح المخلصات اللاتي كنَّ يخوفنها من مغبة التسيب والتَّنصُّل عن حمل الأمانة ومسؤوليتها تجاه تلميذاتها.

وفي غفوةٍ من غفواتها الطويلة وهي تلقي برأسها على الكرسي الدوار خلف مكتبها الأنيق المزخرف بأعمال أحد الخطاطين المذيَّل بأسماء الطالبات وأمامها إحدى المعلمات تسرد عليها بعض ما يجري في غرفتهن من أخبار زواجٍ وإنجابٍ وتغيير مسكنٍ وأثاث وحضور حفلاتٍ وأحدثِ أزياء ومبتكرات!!

في هذه اللحظة سمعت المديرة صراخاً وصياحاً وطرقاً على الباب ينبعث من أحد الفصول فظنَّت أن الطالبات يتشاجرن كعادتهن إذا خلا الفصل من معلمة!! لكنها أبداً لم تتصور أن يحدث ما حدث حيث تعثرت

طالبــة وارتطم رأسها بطرف الطاولة.. ووقعت على الأرض، فاتجهت ثلةٌ مــن التلميذات نحو البــاب المغلق الذي أُهمل إصلاحــه فلا يكاد ينفتح، واتجهــت الباقيات نحــو زميلتهن الملقاة على الأرض وشلال من الدماء يندفــع من رأسها بقوة تــزداد الطرقات على الباب مع ازدياد تدفق الدم مــن رأسها وأنفهــا في محاولةٍ يائســة لإسعاف زميلتهــن ولا من مجيب! والتلميــذات يعاودن الطرق بقــوة في اللحظات التي تلفــظ فيها التلميذة أنفاسهــا الأخيرة وسط هلع صويحباتها وبكائهــن، وحين ترى مراييلهن النظيفــة وقد ابتلــت بالدمــاء الطاهرة! تأخــذك اللوعــة والحسرة! فلا تندهشــ عندما لا تسمع صوت الطرقــات وانقطاعها متزامناً مع انقطاع تلــك الأنفاســ البريئة، فما الفائدة مــن الطرق إذاً؟! لقــد ماتت وانتهى الأمر!

لتتحول النوافذ إلى أبوابٍ مغلقة، بل إلى جدران صامدة!!

وليتحول المكان إلى حالةٍ من الهدوء حين انعدمت الحياة!!

ما أعظمك أيها الموت! أضفيت على المكان جلالك المهيب! وقربت بيــن قلوب الصغيــرات حتى لا تشــك مطلقاً أنــه كان بينهــن خصومة أو مناوشاتٍ أو مشادات.

وعاودت الصغيرات بعدها طرق الباب بأقدامهن وكأنهن يرين الموتَ شبحاً يطاردهــن فهن في هلعٍ وخوف. وهي تلك اللحظات التي استيقظت فيها المديرة على الصوت والمستخدمة تنقل لها الخبر، بل الصاعقة!!

وتفرقت المسؤولية بين أعضاء المدرسة من إداريات ومعلمات ولكنها تركــزت أخيراً على مديرة المدرسة حين بــدأ التحقيق في هذا الأمر وبعد

سماع شهادة زميلاتها الموظفات المقربات اللاتي أكدن أنها كانت متسيِّبة في عملها مهملة له! بينما تُصر هي أن ما حصل «قضاء وقدر».

وانتهى التحقيق بعدم صلاحيتها للإدارة بعد ظهور القرائن التي أثبتتْ ذلك، لذا فقد تقرر تحويلها إلى... وكيلة في مدرسةٍ أخرى..

وغادرت «شريفة» مكتبها آسفة عليه وغير مأسوفٍ عليها وانتهى الحلم الذي تحول إلى كابوس! وانتقلت إلى مدرستها الجديدة وكان مما يسوءها فيها أن الوكيلة الثانية زميلتها في المكتب «الآن» هي إحدى المعلمات الأمينات النشيطات في مدرستهما السابقة! إلا أن أكثر ما يؤلمها في عملها الجديد هو إشارة زميلاتها بأنها: «كانت مديرة!!».

@ صورة بدون تحية لكلِّ مديرةٍ نسيت أن الإدارة أمانة!! @

وســـام
الاستحقاق!

obeikan.com

obeikan.com

حيـن زُرتُ السيدة / موضي في منـزلهـا بعد خروجها من المستشفى، وقد رُزقـتْ بطفلةٍ جميلةٍ أسمتها «حنان» وجدتهـا على غير العادة! فوجهها شاحـبٌ تعلوه صفرةٌ، وقـد كانت حرارة الإيمان تسري فـي عروقها فتكتسي سحنتها بلونٍ وردي مشوبٍ بحمرةٍ. وكانت تلك ميزةً من مميزاتها العديدة.

داعبْتُها: أصبحتِ الآن أُمَّاً يا موضي، دخلتِ ثُلةَ المضحيات براحتهن، الراشفاتِ من رحيق الأمومة..

قاطعتني تلك الدمعة الحرى.. موضي تبكي!! وهي التي تملُأ جلساتِنا حبوراً ومتعةً فلا يشعر جليسُها بمرور الوقتِ حين صحبتها.. مسحت تلك الدمعة بهدوءٍ وقالت: أتصدقين أنني لم أذقْ الطعامَ منذ الصباح؟! وقد أوقفـتُ الرضاعـة الطبيعية لطفلتـي خشية تسرب الكدر الـذي طرأ على نفسي هذا اليوم!

تركتني بدهشتي وراحت تقول: المدرسة يا عزيزتي!! وتابعتْ: حقيقة هذه أول مولودة لي، ولكنني أشعرُ بأنني أمٌ منذ عملتُ مراقبةً في المدرسة، فكل التلميذات بناتي، هذا هو شعوري تجاههن كما هو إحساسهن الحقيقي نحوي.

وماذا حصل؟ سألتُها.

أجابت بحرقة: أبلغتني إحدى زميلاتي أن مديرة المدرسة عمدتْ يوم أمس إلى تلطيخ أيدي بعض التلميذات وملابسهن بالطلاء المخصص للجدران.. كما قامت بقص ملابسهن بطريقةٍ جائرة، وصبَّتْ الماءَ الباردَ على رؤوسهن، ودهنتها بالزيت كتشويهٍ لأشكالهن! وأعقبت موضي هذه العبارة بدمعةٍ مصحوبةٍ بنشيجٍ وأردفت تقول: وألزمتهن بالمشي دون حذاء على بلاطٍ بارد كبرودةِ أعصابها وهي تقوم بهذا العمل... التعسفي!!

ألسنا حين نرى الجيوش المعتدية على الشعوب المسالمة وما تفعله فيها من عنفٍ وسلبٍ للحقوق... نبكي وندعو عليهم بالهلاك من جرَّاءِ أفعالهم وإذلالهم لتلك الشعوبِ المغلوبة على أمرها؟! ولهؤلاء الأفراد العُزَّل من السلاح؟! وبناتي في المدرسة عُزَّلٌ من سلاحِ الدفاعِ عن أنفُسِهن!!

حين كُنتُ في المدرسة، كانت توعزُ إلينا بعقابِ التلميذات ممن تَمُرُّ بهن فترة المراهقة بما فيها من طاقةٍ تحتاج إلى توجيهٍ لا إلى مجابهة وعنف وكنتُ أرفض الانصياعَ لأوامرها بهذا الخصوص، بل إنني كثيراً ما خطفتُ المقص من بين يديها، أو قنينة الماء البارد، مع تذكيرها بالله،

ونصحهـا بالتقوى، مع وقوفـي موقف الوجيه المدافع لهـؤلاء التلميذات. ولكن الآن... لا نوائح لهن ولا مُدافع!!

هـذا ما تفعلـه مديرتُنـا يومياً من استخـدام عبارات السـب البذيئة والتحطيـم النفسي لبناتنـا إلى اللجوء للضرب على الأيـدي لحد النَّزف بدعوى اختراق النظام المدرسي!

والحقيقة، حين أعود للأنظمة العامة للمدارس لا أجدُ لوسائل العقاب التي تستخدمها أي مُستند. بمعنى أنها أنظمةٌ سنتها بنفسِها!

سألتهـا: ومـا ردُّ الفعلِ عند التلميذات؟؟ قالـت موضي بتنهد: وماذا تتوقعيـن مـن مجابهة تلميذات مراهقـات؟ هن بدورهن كـردٍّ فعلٍ يقمن بتكسيـر محتويات المدرسة مـن طاولاتٍ وخلافه والكتابـة على الجدران عبـارات معاديةٍ للمديـرة والهيئة الإدارية «الموالية لهـا» كما يعمدن إلى إضـاءةِ الأنوار، وتشغيل المـراوح والمكيفات بعد خروجهـن من الفصل. وتعـودُ كـرَّةُ العقابِ أشـد، وردود الفعل تكون أقوى.. يـا عزيزتي نحن في حربٍ سجالها لا يهدأ!!

وما دور الأخصائية الاجتماعية لديكم؟!

هزَّت موضي رأسَها وابتسمت بسخرية: إن دورها محدود وصلاحياتها مستمدة من رضا المديرة، فإن رضيتْ عنـها المديرة فنحن في حالةِ سكونٍ وسـلام حيثُ تقوم بتوعية التلميذات وتبصيرهن ونصحهن وبث الثقة في نفوسهـن وتعزيز الشعـور بالانتماء للمدرسة، وبالمقابـل تعمل كالمحبس علـى بعض تصرفات المديرة تجاه التلميـذات. ولكن إن حلَّ عليها غضبٌ من المديرة انفجر البركان واكتسح المدرسة بمن فيها!...

كأن موضـي وهـي تتكلـم عـن مدرستها تتحـدثُ عن دولـةٍ تلازمها الحـوادث والقلاقـل، وليسـتْ مدرسةً صغيـرةً ضمن مدارس كثيرة في بلادنا! ونأتي لنطالب بأمةٍ حضاريةٍ! وهؤلاء التلميذات تغتال نفوسهن على مقصلة ما يسمى بالنظام! ترى ما هو النظام الذي يجيز لمديرة المدرسة استخـدام العنف ضدَّ التلميذات؟ أين منـه النظام الرباني ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ والمسألـة فيها هدًى وضلال؟!! ألا يمكن توجيههن دون تحطيم لذلك الإنسان الذي يقول الله تعالى عنه في محكم تنـزيله ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

والمهتـم بأمـور التربيـة والتعليـم يلاحـظ أنَّ أسبـاب المشـكلاتِ المدرسية مردُّها جهل أبنائنا وبناتنا الطلاب والطالبات باللوائح والأنظمة المدرسية، مع ضعف تبصيرنا لهم بحقوقهم وواجباتهم ومراعاة الفروق الفردية بينهم وتفهم خصائص النمو لدى كل فردٍ.

كمـا أن عـدم التحلي بالهـدوء وسعـة الصدر في معالجـة مشكلات الطـلاب من قِبـل الهيئـة الإداريـة والتعليمية يُعـدُّ سبباً مهمـاً في تطور المشـكلات. أضف لذلـك أنه لابد مـن تحقيق مبدأ حق تقريـر المصير للطلاب حسب مستوياتهم العُمْرية والفكرية، ودعوتهم إلى المشاركة في حل مشاكلهم لأن تجاهلهم ومجابهتهم يؤدي إلى تمردهم!

لسـتُ ضـدَّ اِتِّباع النظام والحـزم ولكن بعض الأنظمـة أصبحت من القِـدم بحيث يستحيـل تطبيقها في جيلٍ لا بـدَّ أن (نخاويه) لأنه كبُر قبل سِنِّـه بفضل هـذا الكـم المعلوماتي الهائـل.. وبعض الأنظمـةِ اجتهادات شخصية لأناسٍ لم يدركوا أن التربيةَ تأتي قبل التعليم.

وقبـل هـذا وذاك لكي نستطيع أن نجعلَ الناسَ يطبقون النظام لابد أن يقتنعـوا بجـدواه، وهـذا لا يتأتى إلا عن طريـق التوعية والتوجيـه والإرشاد والحوار الهادف، أما أن تطبقه إدارة المدرسة حتى تحصل على الثناء ممن هم على شاكلتها فقد ظفرتْ بالنقمة من جيلِ المستقبل، وشكَّلتْ نفوساً هلعةً خائفةً، قد ترى مستقبلاً أن العنف هو أقصرُ الطرقِ لتطبيق النظام!!

إنَّ داخـلَ كل تلميـذة صغيرةٍ أو طالبةٍ كبيرةٍ كـمٌّ هائلٌ من الطاقة التي يمكن توجيهها نحو الخير أو الشر ومن يزرع الشر لابد أن يحصدَه يوماً ما!

ألا يشعـر مـن يقوم بهذا العمل اللا إنساني أنـه تجرد من الإنسانيةِ التي تسكنه وتحول إلى مسمىً آخر! والله عزَّ وجل يقول لنبيه عليه السلام «ولو كنتَ فضَّاً غليظَ القلبِ لانفضوا من حولِك».

لانفضوا من حولك!!

ترى كم طالبة تلح على أسرتها بالنقل من مدرستها إلى مدرسةٍ أخرى بسبب معلمةٍ أو إدارية؟!

كم طالبة تسربت من المدرسة وتركت مقعد الدراسة وفضلتْ الجلوس في البيت بسبب التحطيم المتكرر ابتداءً من ألقابٍ ونعوتٍ سيئة إلى أفعالٍ مشينة؟! وأن أُرغمتْ على الاستمرار بالدراسة تحولت إلى طالبةٍ ناقمةٍ ثُمَّ إلى متمردة!

كـم دعوة خرجت مـن نفس تلميذة تدعو ربهـا أن يخلصها من هذا العبء؟!

ونأتي لنقول إن التعليم متعة!!

بـل هو قطعةٌ من العذاب اليومي تتجرعـه التلميذة ولا تكادُ تستسيغه. ولكنَّ فكرة تعلُّـم لتعمل هي الدافع الحقيقي لأسراب التلاميذ والتلميذات المكلومين في مجتمعنا!

وبعد.. أيتها المديـرة.. مديرة صديقتي موضي!حقاً أنتِ تستحقين وسام.. العنف!! وهو نادر.. لمْ يصنَّع إلاَّ لأجلك!!

obeikan.com

احتراق
معلمة!!

obeikan.com

obeikan.com

حيـن تتواجد في المكان يتضوع سحراً!! معلمـة، مربية، تستبشر بها بناتها كل صباح، تملأ المكان نوراً والزمان حبوراً.

لديهـا ثقافـة واسعة واطلاع علـى مجريات الكـون.. ذات خلقٍ رفيع، تراهـا فتأسرك بلطفها وتغرقـك بابتسامتها، تغنيـك وتثريك، وتطربك! ولديها مقدرة على تجاوز ما يعترضها من صعوبات؛ فحين تواجهها مشكلة وتقف بين يديها تتلاشى وتتحول إلى فقاعات!!

وفي خضـم استقرارها وأوج سعادتها إذ بها تفاجأ بفقد ابنها الشاب وهـو يخطو نحـو العشرين في حادث سيـر... وكان يشكِّل لهـا جدولاً من الأمل بل محيطاً من السعادة في خريطة حياتها!!

كانـت تحدِّث زميلاتها عن بِرِّه بها وعلو همته، وحين تسهب في سرد صفاته تمنحك طمأنينة وتزيدك ثقة في شباب الأمة!!

obeikan.com

فـي يوم الحزن الـذي خيم على وجوه الجميع وامتد لعدة أيام، فقدت تلـك الرائعة ذلك البريـق، وانكفأت على ذاتها، وصـارت إنسانة مهلهلة، حتى لتجـزم أن ابتسامتها ذهبت لغير رجعة! فانطفأ سراج الفرح وتوقف شـلال السرور. بيد أنها لا زالت تؤدي دورهـا التربوي والتعليمي باقتدار، فهي تحتسب مصيبتها على ربها، وتؤمن أن تلميذاتها لا ذنب لهن لتتوقف عـن العطـاء!! إلا أنهن فقـدن متعة التلقي كمـا فقدت هي متعـة التعليم بسخاء.

وما كنت لدينا حين تنخرط في بكاءٍ مؤلم، فلا نملك من أمرنا سوى الدعاء للفقيد بالرحمة وللأم بالسلوان. وأي سلوان؟!

مضـى العام الأول والثانـي ولم تستطع أن تخرج مـن شرنقة الحزن، فقد ضربت خيمة الكآبة والأسى أطنابها في نفسها فأصبح لديها انفصالٌ قهـري عن الحاضر... زاد الشحوب عمرها عدة سنوات، فلا يكاد أحدٌ أن يتعـرف عليهـا حتى ولو كان يعـرف ملامحها... وغزا الشيـب مفرق شعر رأسها، وتهاوى جسدها المثقل بالهموم.. ولم يألُ زوجها وأهلها وزميلاتها وأحباؤهـا جهـداً أن يخرجوها من كهف الحزن وغـار الكآبة!بل إن حزنها مـا انفك يتضاعف حتى لتنتابك الريبة في يقينها ويخالجك الشك في قوة إيمانها! وهي مَنْ هي في قوة إيمانها بربها ورسوخ يقينها بخالقها، وتدرك تمامـاً أن خالقهـا المتكفل بهـا جدير بالتسليم له في قضائـه. إلا أنها لم تستطـع قـط أن تخلع عبـاءة الحزن وتمج مـرارة الفقد. وهـذا ما فتَّ في عضـد إيمانها! والإيمان يزيد وينقصـ! وهي قد تركت مجالاً أوسع للأسى ولم تجعل متسعاً من الفرح كي يدلف لأعماقها وقد غفلت برهة من الزمن،

وربمـا نسيت، أن القلب العامـر بالتقوى لا يمكن أن ييأس أبداً أو يجزع من قضاء الله، وعندها كان لابد من دخول الشيطان في هذه اللحظات.

وكان!!

ففي إحـدى لحظات الضعف الإنساني تسللـت إليها زميلة ذات نفسٍ رديئـة تحمل الشر بيـن جوانحها تتجلل فـي لباس التبريـر، وإن الإنسان لابد أن يبحث له عن مخرج من هذا الحزن... ووقع المحظور حيث وقعت المعلمـة التربويـة، المثقفة بدعوى الخـروج من دائرة الحـزن في براثن المخـدرات! ذلك الوهم الذي يركض خلفه شباب الأمة، حتى أنهك قواه! والسراب الذي يجري وراءه كلٌّ من فشل في التواصل مع مجتمعه، أو أخفق فـي الوصول لمبتغـاه. فانجرفت في هذا التيار، وتخيلـت أو خيل لها أنها بذلك قد استعادت حياتها... بيد أن العود في هذه الحالة ليس بأحمد!! بل أسوأ وأشقى وأتعس!!

تجدهـا تأتـي تارة لعملها فـي قمة السعـادة والفرح ترتـدي ملابس براقـة تملأ المساحيق وجهها الشاحب، وتتحدث كثيراً بما لا يفيد بغرض إضحاك النـاس وتسليتهم. وتارة تأتي حزينة تورد قصصاً مأساوية تملأ المكان كآبة.

ولـم يعد مـن المستغرب أن تشك بأن الماء قـد مرَّ على وجهها الذي يحمل البؤس والألم ويستدر الشفقة والأسى. وما تلبث أن تعود – في نفس اللحظة – ضاحكة مستبشرة، فرحة مبتهجة.. وهكذا دواليك!

نعـم عـادت البسمـة، ولكنهـا البسمـة الواهمـة بالسعـادة وليسـت حقيقتها..

تعجب حين تراها تسرد أحداث يومها المملة، وتندهش حين تبدو التفاهة في حديثها ظاهرة للعيان!

لقد خسرت المدرسة معلمة تربوية، فهي تظهر، دوماً، ساخطة على تلميذاتها معنفة لهن، متبرمة من العمل، ساخرة من زميلاتها بكل وقاحة! بل وخسرت أسرتها وأبناؤها أماً حنوناً، فهي ضجرة من متطلبات صغارها متذمرة من تحمل مسؤوليتهم! تراها يوماً عنيدة، حادة الطباع، وآخر مطيعة منسحبة من الواقع، لا تعرف لها قاعدة للتعامل معها..

لقد سُرقت بسمتها الساطعة، المضيئة وأبدلت بأخرى باهتة، كاسفة.. في وجه يكسوه قترة الذل وشؤم المعصية.. وجسد يترنح بالسموم، ونفس يكاد الإعصار يقتلعها!!

ترى من اغتال تلك الرائعة؟!

ومن يُعيد لها ولنا البسمة المسروقة بسطوعها وتألقها؟!!

وانطفأ
السراج!!

obeikan.com

obeikan.com

شعرٌ طويلٌ مسترسل يحيط بوجهٍ بريءٍ، طفولي الملامح!

تلـك (إيمان) تمـلأُ منـزل أسرتِها حبوراً، فهـي تستقبل والدها عند حضوره من العمل وتصر على مساعدته في خلع (العقال والشماغ) إشعاراً له بالحبِّ والبِر..

وفي جلسات السمر المسائية للأسرة، لا تفتأ تداعبُ والدتها بتحريك أناملهـا الصغيرة على باطنِ قدمي أمهـا فتغرقُ الأم بالضحك، وكثيراً ما نهرتهـا عن هذا العمل إلا أن الطفلة قـد اعتادت أن تغيرَ من التوتر الذي يطرأُ أحياناً على المنـزل بهذا التصرف!

ويحلـو لـلأب إطـلاق مصطلـح (انطفـاء السـراج المؤقـت) حين تضـع الصغيرة رأسها في حضـنِ والدتها، وتقوم الأخيـرةُ بمداعبة تلك الخصـلات المسترسلـة على ذلك الجبيـن البهي.. فتـروح الصغيرة في

obeikan.com

سُباتٍ عميق، يحملها والدها إلى سريرها وهو مفتقدٌ حديثها و(قفشاتها) ومداعبتها لوالديها، وعلى الرغم أن لديهم من الأطفال أربعة إلا أن إيمان تمتلك روحاً عذبةً!! ونحن ننساقُ طوعاً لهذه النوعية من البشر ويمتلكون قلوبنا، فما بالك حين يكونون أطفالنا!!!

في صباح كلِّ يوم ترتدي إيمان مريولاً رمادياً مثل جميع التلميذات في مدرستها بلونه الحائر الذي ينفرد به على بقية الألوان! ولكنه يكون الأجمل حينما ترتديه!

تودع والدها أمام بوابة المدرسة، وتطبع قبلةً على جبينه، وتدلف إلى المدرسة تزرعُ في أركانها ابتسامةً جميلةً تحيي صباح زميلاتها بالود والعطاء.. لم أرها غير مبتسمة.. وكأنها والفرح توأمان... يتوج ذلك تفوقٌ فريدٌ، وذكاءٌ متوقدٌ، وأدبٌ جم.. داخل الفصل وفي ردهات المدرسة..

ولمَّا تحدثك (إيمان) فهي أديبةٌ أريبة، تنتقي الكلمات من سلةِ الأدب! على الرغم أنها في الصف الثالث الابتدائي، فلا تملك إلا أن تحترمها. وكثيراً ما استخدمت حق الوجاهة في رفع العقوبة عن زميلاتها حين تنسى إحداهن كتاباً أو دفتراً أو تقصر في أداء الواجب. وتتفقد صويحباتها كل صباح لا سيما الغائبات بالأمس فتساعدهن على فهم الدروس وحل الواجب. أما المريضات فهي تمنحهن الحب بلا حدود.. لذا فقد أصبحت تنال لقب التلميذة المثالية كل عام فهي تستحقه بجدارة، وزميلاتها يمنحنها الحب بلا غيرةٍ أو حسد، حيث أن كل واحدة قد نالت من (إيمان) عطاءً غير محدود!!

في صباحِ يومٍ خريفي تحضر إحدى المعلمات الجديدات على المدرسة، المعلمة (سعاد) منقولة من إحدى المدارس الابتدائية.

تتولى المعلمة (سعاد) تدريس الصف الثالث بدلاً من المعلمة (جواهر) التي تتمتع بإجازة أمومة منذ الأسبوع الماضي، وقد افتقدتها التلميذات، لاسيما ابتسامتها وتسامحها، وأسلوبها التربوي القائم على منح الثقة واحترام شخصية التلميذة.

تدخل المعلمة (سعاد) الفصل في الحصة الأخيرة من يوم الأربعاء، تتفرس في الوجوه دونما ابتسامة وتطلب منهن دفاتر الواجب..

تبحث إيمان عن دفتر الواجب في حقيبتها، وفي مكتبها الصغير، وتعود مرةً أخرى للحقيبة لعلها وضعته داخل الكتاب عبثاً تحاول... إنه غيرُ موجود... عجباً!! لقد وضعته في الحقيبة مساء أمس بناء على الجدول..

نظرةٌ في الحقيبة...

والأخرى ترسلها نحو المعلمة..

والمعلمة تركز النظر عليها.. فهي التلميذة الوحيدة التي لم تخرج دفترها..

تعود للبحث مرة أخرى، وتتبعها النظرات الحادة من المعلمة.. ترتبك.. تتوقف يدها عن البحث.. بل تصبح اليد قطعةً من الثلج!!! ربما تكون أيَ شيء إلا أن تكون يداً!!

لا زالت المعلمة تسدد النظرات الحازمة... وتطلق التهكمات..

- أين الدفتر يا... يا شاطرة... أو... كسلانة..

وما كادت تنهي عبارتها حتى وقفت التلميذة بكل انكسار!!

- أستاذة.. لقد أحضرت الدفتر ولكنني لم أجده في... الحقيبة ولا في...

وتطلق المعلمة ضحكتها المجلجلة...

- أين الدفتر؟! هل له أجنحة يطير بها؟!!

وكانت المفاجأة للمعلمة أن التلميذات لم يبدين إلا ألماً مشاركة لزميلتهن (إيمان).

أما التلميذة فحارت جواباً! وحين ألحت عليها المعلمة بالسؤال عن الدفتر لم تستطع الإجابة.. فسكتت..

استشاطت المعلمة غضباً، فهوت بيدها على وجه التلميذة، وتطاير شعرها المسترسل!! ذلك الوجه البريء.. الذي ما اعتاد إلا على الابتسامة والعطاء. ولم يعتد إلا تلقي القبلات من والديها ومعلماتها... معلماتها؟!

في هذه الأثناء ظهرت في الخيال المعلمة (جواهر) بابتسامتها المطمئنة وهي تودع تلميذاتها في آخر يومٍ لها في المدرسة وهن يدعون لها بيسر الولادة والسلامة!!

وعلى الرغم مما حدث إلا أن التلميذة لم تبكِ مع شعورها بالحاجة لذلك! لم تستطع بالفعل أن تبكي مع إحساسها بالألم، تشعر بالجفاف في حلقها وفي عينيها، وتحس بالحرارة في رأسها وفي أُذنيها... وبالمرارة في فمها!!!

إحساسٌ غريبٌ يتملكها.. هو شعورٌ بالحرج.. أو الظلم.. أو أي شيءٍ آخر!!

طلبت منها المعلمة الوقوف خارج الفصل إلا أنها لم تستطع حراكاً فلم تلتزم بالتعليمات مما جعل المعلمة تلقي ما تبقى في جعبتها من ألفاظٍ جارحة!!

وفـي ضجـة الحدث تقـفُ إحدى التلميـذات بوجلٍ وهـي ترفع دفتراً وتقـول: دفتر إيمـان معي يا أستاذة فقـد أعطتني إياه صبـاح اليوم حيث كنتُ غائبةً بالأمس.. وربما قد نسيت!

في هذه اللحظة، لا يهم وجود الدفتر عند إيمان ولا يهم كم من الوقت قـد مرَّ وهي بهـذه الحالة، الذي يهمها وتعرفه تمامـاً أن هذه هي الحصة الأخيـرة في هـذا اليـوم وبعدها يتـم الانطلاق إلـى المنـزل .. المنـزل الحلم!!

هـذا ما فعلته إيمان حين أعلن الجرسُ انتهاء يومٍ دراسيٍ كئيب!! ولم تنتظر وصول والدها برغم عدم قربِ منـزلها للمدرسة، لكنها اعتادت أن تعـود مع بعض زميلاتها عندما لا يتمكن والدها مـن الحضور في الوقت المحدد .

دخلت المنـزل دون تحية، واتجهت نحو غرفتها ولم تخلع ملابسها بل انـزوت في مكانٍ ما بالغرفة، وحيـن افتقدتها والدتها ذهبت تبحث عنها فوجدتها في غرفتها ترقد متكورةً في سريرها فظنت أنها نائمة..

ولمـا حلَّ موعـد الغداء ذهبت والدتها لإيقاظهـا ففوجئت بعد كشف الغطاء بأثرٍ في وجه إيمان تحاول إخفاءهُ مما جعل الأم تستفسرُ بهلعٍ عن الأثر.. وعندما أرادت الطفلة أن تنطق... لم تستطع!!

لازالت تشعرُ بجفافٍ في الحلق، وبالحرارة في أُذنيها، وبتلك المرارة التي تتحلب في فمها!!

أخـذت الأم تعيد السـؤال... وكأنه مطرقةٌ تزيدُ مـن نوباتِ الألم في رأسهـا والحرارة فـي أُذنيها!! تريدُ شيئاً من اللعـاب لتحركَ لسانها.. إلا

أنهـا أعلنـت فشلها بنظرةٍ يائسةٍ من عينيها اللتيـن ما أن أطبقتهما حتى جادتا بغيثٍ وابلٍ من الدموع!!

هل فعلاً فقدت إيمان القدرةَ على النطق؟! على الكلام؟!!

اتصلت الأم بإحدى زميلات ابنتها في المدرسة فأبلغتها عن الحادثة!

وعندما ذهب بها والدهـا للطبيب مساء ذلك اليوم، لم يجد الطبيب سبباً عضوياً لذا أحالهـا لطبيبٍ نفسي الـذي أشار إلـى تعرض الطفلة لموقـفٍ عصيبٍ لـم تستطع أثنـاءهُ الدفاع عن نفسها فآثـرت الصمت... وغالباً ما يكون الصمتُ أبلغَ دفاع!!

في يوم السبت تذهب الأم للمدرسة لتقابل المشرفة الاجتماعية التي أبدت ألماً وامتعاضاً لما وصلت إليه التلميذة ولم تُخف على الأم إعجابها بإيمان (إشراقـة المدرسة) كما يحلو للمشرفة تسميتها.. لذا وعدت الأمَ بمناقشة الموضوع مع المعلمة ولن يأخذ الأمر وقتاً يذكر! حيث أن حلَّ هذه المشكلة بيد المعلمة التي ربمـا تجهل مستوى التلميذة الفكري والدراسي نظـراً لأنهـا جديدة علـى المدرسة، وتحتـاج التلميذة إلـى التشجيع كرد اعتبـار لها بين زميلاتها.. إلا أن المشرفة فوجئت بموقف المعلمة وردها على هذا الأمر أن التلميذات مدلَّلات من قِبل المشرفة وبعض المعلمات!! وأن التلميذة لن تلبث أن تعود إلى المدرسة...

حاولـت المشرفة أن توضح للمعلمة (سعـاد) الآثار النفسية المدمرة التي تعيشها التلميذة مـن جراءِ إهانتها أمام زميلاتها ولا بدَّ من معالجةِ الأمـر بصورةٍ وديِّةٍ دون تقليلٍ من احتـرام المعلمة وقيمتها! وهذا سيؤدي إلـى شفـاء التلميذة. ثمَّ إنـه لا بدّ من إيقـافِ تيارِ العقـاب البدنـي الذي

تستخدمـه بعض المعلمات محملاً بالألفاظ النابيـة والقاسية، ولكن دون جـدوى حيث أن كثيراً من المعلمات يؤيـدن العقاب البدني ويمارسنه لأنه برأيهن هو السبيل لحفظ حقوق المعلمة وإشعارها بقيمتها.

لم يلقَ رأى المشرفة أيَّ تأييدٍ لا سيما أنها ترى أن أسلوب احترام الإنسان يأتـي بالمناقشة والحـوار وليس بالعقاب البدنـي وكان رأي إدارة المدرسة بهـذا الصدد هو أن النظام يمنع الضرب، وحرصـاً على تطبيق النظام لذا يُمنـع الضرب... وتـمَّ إصدار تعميـمٍ تذكيري بهـذا الشـأن!! دون مناقشة المعلمة لآثار الضرب النفسية وأنه يُفقد الشخص كيانه الإنساني...

لا زالـت المشرفـة تواصـل استفسارها عـن (إيمـان) المتغيبة منذُ الأسبـوع الماضي والقابعة في أجواء ذاتها المسكونة بالانهيار الداخلي.. والصمت المطبق!!

ولـك أن تتخيل (إيمان) والصمت... ووالدتها المكلومة وفؤادها يتمزق ألماً على ابنتها!! أما والدها فللقهر مساحةٌ واسعة في كيانه.. وهو الذي يفتقدُ توهجها المؤقت حين تنام وأنامل أمها تعبثُ في شعرها المسترسل!!

هل انطفـأ السراج للأبد؟!! وتحولت الضحـكات إلى صمتٍ مطبق؟!! ليتهـا تنطق... وتعبـث بقدمي والدتها ولن تنهرها قـط.. فالمنـزل كئيب وبحاجةٍ إلى من يمارس به الشغب اللذيذ، ليحيي صباحه ومساءه... ويذكِّر الأب بأنـه لا زال يرتـدي شماغه منـذ حضوره من عمله وحتـى المساء.. فإيمان لا تمارس ذلك الحب... وذلك التوهج!!

استمـرت الاتصـالات بيـن الأم والمشرفة، ورأت الأخيـرةُ أن تحضر التلميـذة للمدرسة ويتم تغيير معلمـة الفصل لعل ذلك يكون علاجاً ناجعاً

للتلميذة حيث طال الأمر! ولكن إدارة المدرسة رأت أن ذلك تحقيق مطلبٍ شخصي لتلميذةٍ (مدلَّلة) وسيجعل التلميذات يتمردن على النظام المدرسي!!

ذات يوم تحضر سيدة وتسأل عن المعلمة (سعاد) في غرفة المعلمات تقف المعلمة وتشير إلى نفسها وهي بوسطِ زميلاتها... تقترب السيدة وتهوي بيدها على وجه المعلمة (سعاد) وهي تقول: أنا أمُّ التلميذة (إيمان) حضرت لأخذِ حقِّ ابنتي حين لم ينصفها أحد وهي بحالةٍ نفسيةٍ سيئةٍ وقلبكِ خالٍ من الرحمة، والله سبحانه يقول: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثلِ ما عوقبتم به..) وقد قررنا نقلَ ابنتنا من المدرسة..

وضعت المعلمة يدها على وجهها، لم تشعر بالألم، ولم يتطاير شعرها على وجهها مثلما تطاير شعرُ إيمان فقط بكت وبحرقة.. وجلست على الكرسي ثم وقفت ثانيةً وهي تقول في نفسها: لم يسبق أن ضربني أحد مطلقاً!! ولم أُجرب مرارة الضرب في حياتي أبداً! لو تعلمن أن سبب نقلي من مدرستي السابقة أنني ضربت إحدى التلميذات فرأت المديرة أن تنقلني عن المدرسة فوراً.. ليت المديرةَ عاقبتني إذاً لما حدث هذا!! تُعيد ذلك في نفسها وهي تشعر بقسوةِ ما ارتكبت!!

لذا، أقبلت نحو أم إيمان تقبِّلُ رأسها وتحتضنها وتتأسف منها وتعدها بردِّ اعتبار ابنتها أمام التلميذات...

لقد علمت المعلمة سعاد أن (يد المعلمة التي تمنح العطاء لا تكون أبداً سبباً في الشقاء)!!

كوني لي
أُمًّا

obeikan.com

obeikan.com

وجهٌ لا يختلف عن كلِّ الوجوه! سوى ابتسامة الرضاء التي تعلوه!

تلـك هـي التلميـذة (مشاعل) تقفـز وتلعب، وقـت الفسحـة، اللعبة المفضلـة لدى أغلب التلميذات بأن تجـري واحدة والجميع خلفها يحاولن الإمساك بها.. تسقط (مشاعل) لاصطدامها بأحد أعمدة المظلة..

تنسـى التلميذات أنَّها طريدتهن فيمسكن بيدها ويأخذنها إلى غرفة المرشـدة.. تتوجع، وتشكو بخجل! تضع يدها على مـكان الألم في ساقها اليسرى تكشف التلميذة طرفاً من المريول فتجد المرشدة جرحاً بسيطاً! حتـى لقد تبادر لذهنهـا أن التلميذة تتكلف الشكـوى. إلا أن منظر وجهها وشفتيهـا ينمـان عن ألمٍ موجـع! لذا طلبت مـن التلميذة أن تـرى ساقها اليمنـى.. امتعضت الصغيرة وترددت، رويداً رويـداً وعلى مضض تكشف ساقهـا.. أثر حرقٍ في السـاق كان قد وصل مرحلة الجفـاف إلا أنه يندى بكميةٍ قليلةٍ من الدم!! ثم انهمرت في بكاءٍ أليم!!

obeikan.com

حبيبتي (مشاعل) هل وقع على ساقك مادةٌ حارقة؟ تسألها المرشدة.

همست الصغيرة بوجل : أخشى أن يعلمَ أبي.

سأساعدك يا مشاعل.. أخبريني!

كنتُ في المطبخ مع أخي الصغير، وكنَّا نشرب العصير وحين شرب عصيره كله طلب مني أن أعطيه من نصيبي، وحين رفضت قام وضربني، فأخذت كأس العصير ورميتُ به أخي فاتسخت ملابسه وأخذ يبكي! وكانت خالتي في المطبخ تُعدُّ طعام الغداء فأخذت الملعقة ووضعتها على النار، وهوت بها على ساقي!

ضجَّ الألم في كبد المرشدة واحتضنت مشاعل ودولاب الحدث يدور في مخيلتها، وتذكرت حين يتعرض أحدٌ من الأطفال لحادثٍ غير مقصود كيف يهبُّ الجميع لإنقاذه، وحين تكون الإصابةُ حرقاً يشعر الجميع بألم الحرق مساوياً لمن تعرض له!!

تُرى (مشاعل) من شاركها الحرق الجسدي والنفسي؟! يتحشرج السؤال إلا أنه يخرجُ منهكاً: وماذا فعلتِ؟؟

- بكيتُ، وركضتُ بسرعة أضع عليه ماءً بارداً، لأن خالتي هدَّدتني إن أبلغتُ والدي فإنها ستكررُ العقاب مرة أخرى! فكففتُ عن البكاء قبل عودة أبي من عمله.

هبكِ مشاعل أغدقتِ ماءً وافراً على الجرح لإطفاء الألم.. فمن لقلبكِ يطفئ حروقه؟!

تم إسعاف التلميذة وإعطاؤها مسكناً للألم، وتسليمها خطاب استدعاء لزوجة أبيها، حيث أنها تعيش مع والدها وزوجته بعدَ وفاةِ والدتها.

حضـرت زوجـة أبيها فحدثتها المرشدة عن وضـع الطالبة الصحي وأنها هزيلة الجسم وكثيراً ما تشردُ عن شرح المعلمة على الرغم من أنها مجتهدة في دروسها، ومتكيفة مع زميلاتها في المدرسة.

تحدثـت زوجـة الأب عما تعانيه من (مشاعل) ومـن حركتها الكثيرة فـي المنـزل وشجارها مع إخوانهـا، وأنها كثيراً ما تعرضها للإحراجِ أمام الضيوف، وأنها.. تُشكِّلُ عبئاً ثقيلاً عليها!

وتبـدو تصرفـات مشاعـل رد فعـل طبيعـي لشعورها بعـدم التكيف بالمنـزل، ولإحساسهـا بعدم الارتيـاح لوجودها وأنها عـبء ثقيل! وعلى الرغـم مما تحمله هذه الصغيرة من خفة الروح والذكاء المتوقد والقدرة علـى جعـل الآخرين يحبونهـا! إلا أن المرأة لم تكن علـى استعدادٍ نفسيٍ لقبول مشاعل كابنةٍ لها.

ذهبـت المرشدة تُنقب عـن مواقع الإنسانية داخل قلـب هذه المرأة، فقالـت لها: مع دُعائي لكِ بطول العمـرِ والعمل الصالح، هل أنت على ثقةٍ أن لا يباغتك الموت مثلما حدث لأمٍّ مشاعل وتتركين أولادكِ في يد امرأةٍ أُخـرى؟ تُرى ماذا كنـتِ تتمنين أن تعاملهم؟! لم تجـب المرأة واستأذنت بالانصراف وهي تقـول: أنت لا تعلمين مدى معاناتي!! وما معنى أن يكون هناك شخصٌ غير مرغوب فيه بالمنـزل..

طلبت المرشدة منها عرض الطفلة على طبيبٍ لعلاجها! مع علمها أنها لن تستطيعَ تغيير مشاعرها السلبية تجاه الطفلة على الرغم من وجود سيداتٍ فاضلاتٍ يقمن بدور الأم لأبناء أزواجهن بكل اقتدارٍ وتضحية وقد جنين ثمار معاملتهن الحسنة في الدنيا، وفي الآخرة خير وأبقى، ولو علمت هذه السيدة

وغيرهـا ما ينتظرها من الجزاء لما فعلت ذلك. ولكن لا زال هناك من يشوه وجه الإنسانية الجميل بأفعالٍ قد يندم عليها يومَ لا يفيد الندم.

ولأن هـذه المـرأة لم تبدِ تجاوباً فقد اتجهـت المرشدة نحو الاهتمام بالتلميـذة وتعويضها عن فقد والدتهـا، وقد حرصت أن لا تكون تصرفات زوجـة والدها دافعـاً لها على التمرد ومقابلة الإسـاءة بالإساءة، فقد كان الهـدف هو أن تجعل تلك المرأة تقبـل الطفلة وبالتالي تحبها فليس هناك أسهل من أن يحبك الناسُ أو يكرهوك!

بـدأت المرشـدة مسيرة تعليم التلميذة ماهية الحـب والتسامحِ، ولم يستغـرق الأمرُ وقتاً طويلاً! سيما أن التلميذة تملك شفافيةً في روحها، إلا أن الإحساس بفقد والدتها يجعلها تعيش حالةً من الشرود.. يقطعها حيناً الإغـراقُ في الضحك حتى لتتصور أنهـا أسعدُ مخلوقٍ! وحيناً آخر يتفطر قلبها بكاءً وحرقةً حتى لتقول أنها أشقى من في الوجود!!

أصبـح هناك حبـلٌ سريٌّ يصلُ هذه الطفلـة بالمرشدة فكانت في كل صبـاحٍ تتفقد حقيبتها ودروسها وتسمَّع لهـا ما حفظت، وتدس في الحقيبةِ الفطيـرةَ المعتـادة، وفـي نهايـةِ الدروس تطَّلعُ علـى سجـل الواجبات، وتساعدهـا في حلِّ ما يصعب عليها منها وقليلاً ما يحدث فقد وهبها الله ذكاءً فطرياً، وسرعةً في الفهم والاستيعاب!! وحين يتم تكريم المتفوقات، لكَ أن تتخيل كيف يكون وضع المرشدة في ذلك اليوم! إنها ترقب التلميذةَ حين خروجها من الطابور، وحتى استلامها نتيجتها وجائزتها.

فـي المجلس الختامي في نهاية العـام، تحضر الأمهات، وبعد انتهاء الحفـل تلتقـي كلُّ طالبةٍ بوالدتهـا لتعرفها علـى معلماتها، ولتسـأل الأمُّ بدورها المعلمةَ عن مستوى ابنتها الدراسي.

ومـن بعيد.. تقفُ مشاعل، تسند رأسها على أحد الأعمدة المصطفة فـي الساحـة تجول بنظراتها البريئـة بين الحشـود، وكل تلميذةٍ تحتضن يـدَ أمها باتجاه المعلمة.. تلتقي نظـراتُ مشاعل بالمرشدة فتتجه نحوها وتقفُ أمامها وبلغةٍ حازمةٍ وإلحاح شديد تقول: كوني لي أُمًّا!! واسألي عن مستواي الدراسي فلن يكونَ مخجلاً!!

تنطلقُ المرشدة نحو مكتبها وترتدي عباءتها كبقية الأمهات وتمسك بيـد مشاعـل وتتجه لمعلمـة الصف الثانـي لتسألها: كيـف مستوى ابنتي مشاعل؟! لتنفـرج أسارير الصغيرةِ بابتسامةِ الفـرح والغبطةِ والامتنان، والمعلمـةُ تُثنـي عليها وعلـى سلوكها وأدبهـا واجتهادها ويتكـرر المشهد نهايـةَ كلِّ عام، والتلميذة تنتقل مـن الصف الثاني للثالث و... حتى نهاية المرحلـة الابتدائية وتنتقل مشاعل للمرحلة المتوسطة وهي أروع ما تكون، تزدادُ اجتهاداً، وأدباً، وشفافية، وقدرة أكبر على التسامحِ والعطاء!

تمـر السنوات.. وتنقطع أخبار مشاعـل والمرشدة تمارس عملها في نفـس المدرسة الابتدائيـة يتنازعهـا الاستمرار في العمـل، والرغبة في التقاعـد. وتأمل أن يُهيـأ لهذه المدرسـةِ مرشدة حنون تتولـى استكمال أهدافها الإنسانية وتُضيء بقية الطريق للتلميذات الصغيرات ممن يعاني بعضهـن من مشـاكل الطفولة! وجـاءت الموافقةُ علـى تقاعدها. وهاهي تقوم بتهيئةِ مكتبها حيث علمـت أنَّ هناك مرشدة جديدةً ستتسلمُ العمل منها!

فـي الأسبوع التالي، وفي مكتبهـا الذي أمضت به قرابة عشرين عاماً يُطل عليها وجهٌ جديد، وتسلم عليها صاحبته بحرارةٍ، وتقترب منها لتُقبِّلَ

جبينها.. تتفحصُ المرشدة هذا الوجه، وتحـاول التعرفَ على ملامحه! قطعـت عليها الفتاة استرجاع ذاكرتها وقالت لها: أنا مرشدة تربوية، وقد تمَّ توجيهي إلى هذه المدرسة.. وأسرعت بكشف طرفِ ساقها اليمنى..

لازال أثـرُ الحرقِ على ساقِ (مشاعـل) يُنبئ عن نجاحٍ أكيد لمرشدة تربوية في مدرسةٍ ابتدائية!

obeikan.com

حـيـاة

obeikan.com

obeikan.com

في مدرسةٍ ابتدائية، وفي أول يوم دراسي، تصطف التلميذاتُ في طوابير غير متناسقةٍ، وجوه صغيرة وجديدة تختلط نظراتها بترقبٍ وخجل مشوبٍ بخوفٍ من مستقبلٍ جديد!

والصف الرابع، كعادة هذا الصف، كبير صغير، يُصنَّف من ضمن الفصول العليا إلا أنه لا يزال يرزح تحت قيد العقول الصغرى. وما بين التوجيه بمروهم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر، تحتار حين تبدأ لغة الحوار بينك وبينهم، أمَّا القلم الأزرق والأحمر فهما حديث المثرثرات وهاجس الصامتات الذي غالباً لا يكون من ذهب!

تدخل على الفصل الرابع أكثر من معلمة، وكل واحدة تتعرف على أسماء التلميذات مجاملة لهن دون رغبةٍ مُلحَّةٍ لحفظ الأسماء في وقت مبكر! ويتردد اسم (حياة عبد المحسن) أكثر من مرة، طالبة جديدة من مدرسة أُخرى! يتضح من سحنتها أنها تلميذة خجولة وتتمنى

obeikan.com

أن يمـر هـذا اليوم بأسـرع ما يمكـن لتنتهي أزمـة التعـارف السنوية مع المعلمات!

تدخـل المراقبة تُطابق الأسماء مع السجلات الموجودة وتقرأ الأسماء وكل تلميذة تُجيب بنعم، ما عدا اسم إحدى التلميذات الذي يتردد على لسان المراقبـة دون أن تسمع إجابة! فتعزو ذلـك إلى غياب هذه التلميذة، وتطلب مـن زميلاتها إبلاغها عند حضورها غداً أنَّ اسمهـا موجود بالصف الرابع (ب) وكالعادة تتساءل المراقبة عمن لم تسمع اسمها، ولا يُجيب أحد! وتهم بالخروج إلاَّ أنَّ المعلمة تستوقفها وتقول: لم تذكري اسم هذه التلميذة!

ما اسمك يا عزيزتي؟! تسأل المراقبة!

حياة عبد المحسن. تُجيب التلميذة!

تعود المراقبة للاطلاع على سجلاتها (أ، ب، ج) لا توجد تلميذة بهذا الاسم! ربما أنَّك في الصف الخامس، أو الثالث! وتعود لسجلات الفصلين فلا تجد الاسم!والتلميذة تقفُ بوجـوم، وصمتٍ، واستعدادٍ، وتأهبٍ لوقوع أمرٍ متوقع لديها!!

اسمك غير موجودٍ بسجلات المدرسة.. هكذا قالت المراقبة.

تقـف التلميذة وقد أطبقت شفتيها اللتين حاصرتا ذلك اللسان الذي توسلـت بـه أن ينطق، ولكنه فـي تلك اللحظات نسـي دوره، وتحول لعضلةٍ تحركه داخل فمها!! أمَّا العينان فقد أمطرت دموعاً، توقفت لحظاتٍ عدة قبـل أن تنهمر مكونة نهراً، بل بحراً تمخر به سفن الماضي الأليم دون أن ترسو على شاطئ الانتماء!

تحولت قلوب أولئك الصغيرات إلى قطعٍ إسفنجيةٍ تكاد تهفو على دموع زميلتهن الجديدة لتُجفِّفَها، ما بالها تبكي في أول يومٍ نلتقي بها؟!

ما بك يا حياة؟ هكذا قطعت حبل الصمت تلك المعلمة الحنون، ولم تُجب حياة، ولم تتمكن من إيقاف ذلك الجريان الهادر من الألم.. تشعر أنَّ دموعها تشكل شُرياناً وريدياً ينزف ليجرف في طريقه كلَّ أخطاء الآخرين.

ما بال هذه الدموع لا تكاد تتوقف؟. هكذا تتساءل تلك الصغيرة بصمت، بينما النَّشيج يعلو ويهبط أخذت المراقبة يد حياة بلطفٍ واستأذنت معلمتها وتوجهتا تلقاء المرشدة التربوية فهناك تصب قناة الألم والمعاناة! وضَّحت المُراقبةُ وضعَ التلميذةِ، جلست المرشدة بقرب التلميذة، وبادرت بتعريفها على نفسها، ودورها في المدرسة، وطلبت منها في المقابل أن تُعرِّفَها باسمها، وكأنَّها أعادت فتح الجرح بمشرطٍ حاد!!

أنا حياة عبد المحسن!حضرتُ من مدرسةٍ أُخرى!

رحبت بها المرشدة تلميذة جديدةً، وتساءلت عن سبب عدم وجود ملفها في المدرسة! وسألتها: هل تبلغين أسرتك أنَّ أوراقك غير موجودة، أو نتَّصل بوالدك ليحضرها؟

فجأةً تظهر تلك النَّظرات المندهشة، وما تلبث أن تتحول إلى نظراتٍ متوسلة بل هاربة.. كارهة!

أنا أوراقي الرَّسمية باسم (حياة سليمان) ولكنَّ اسمي (حياة عبد المحسن).

- كيف يا حياة؟! سؤال يحمل الدهشة.. وتنقطع لغة الحوار بِبُكاءٍ متواصل. لتُنقذها المرشدة من هذا الألم بكتابةِ طلب استدعاء لوالدتها للحضور إلى المدرسة. وتنصرف التلميذة بعد أن هدأت قليلاً.

وفي الغد تحضر والدة (حياة) وتبدأ بشرح قصةٍ طويلةٍ مفادها (اغتيال براءة طفلةٍ بانفصال والديها قبل أوان ولادتها) فقد ولدت وهي لا تعرف غير جدها أباً لها، أو هكذا أرادت أُسرة والدتها، وأصبحت تحمل اسمه واسم العائلة على نطاق الأسرة، أمَّا رسمياً فإنَّها (بالأوراق فقط) تنسب لوالدها دون شعورٍ منها بانتماء لذلك الأب. عشر سنواتٍ لا تعرف والدَها، لأنَّ أسرة أُمِّها لا تُريد لها ذلك، دون احترامٍ لمشاعر هذه الطفلة وحقِّها في الانتماء لأب تحمل اسمه!

تحملت المرشدة مسؤولية ربط التلميذة بأُسرة والدها، لذا استدعت حياة لمكتبها وأثنت على شكلها وعلى ملامحها وأنَّها تُشبه إلى حدٍّ كبير ملامح أُسرة والدها، فقد سبق أن تعرفت على إحدى قريباتها، وأسهبت المرشدة بالثّناء على الأسرة، وأنها مشهورة بكل الصفات الحميدة، وفي الوقت نفسه شكرت أُسرة والدتها على تربيتهم الطَّيِّبة وتنشئتهم الحسنة لها.

كانت حياة في حالة هدوءٍ والمرشدة توضح لها أنَّ انتماء الإنسان لأبيه شرف له، بينما وجهها يُعطي دلالاتٍ غير واضحةٍ عن مدى الاستجابة! إلا أنها أبدت عدم رغبتها في الانتساب لأبيها، وأبدت رغبتها بالعودة إلى مدرستها السَّابقة! إنها لا زالت تحمل تركة كبيرة من والديها لا يكاد يتحملها عقلها الصغير، فقد عاشت سنواتٍ وهي تُعرف بهذا الاسم في

مدرستهـا القديمة، حيث كانـت تنسب على نطاق المدرسـة باسم جدها لأمها مجاملة لأسرتهـا.. ومراعاة لظروفها بينما توضع الأوراق الرسمية فـي الملف باسـم والدها تحسبـاً للمسؤوليـة.. وهكذا سـارت الأمور في السنوات الدراسية الثلاث الأولى، لا تشعر قط بانتماء إلى تلك الشهادات، ولـم تحتضـن قط شهادةً دراسيـة تُشعرها بأنها نجحـت وتفوقت فهي لا تُطيـق أن تأخذ هذه الشهادات للمنـزل وتكتفـي بالاطلاع عليها للحظات، ثم تطلب حفظها في الملف المدرسي!

كان هـذا اللقاء في نهاية اليوم الدراسي، وحياة لا زالت في حيرتها، طلبت منها المرشدة الانصراف على أن تحضر غداً لتستكمل معها الحوار، وتبدأ من جديد بالاسم الحقيقي، حيث ستظهر حياة في الإذاعة المدرسية الصباحيـة لتلقي أُنشودةً جميلة أمام طابـور التلميذات بعد تقديم اسمها الرسمي، فالتلميذات لا يعرفن اسمها بعد.. فهي تلميذةً جديدة!!

* * *

يأتي الغد.. يقرع الجرس المدرسي.. تبدأ الإذاعة الصباحية بالقرآن الكريـم، والمرشدة ترقبُ بوابة الدخول، ولم تحضر حياة! تختتم الإذاعة برامجهـا وتسير الطوابيـر، ويتحرك طابور الصف الرابـع خلف المعلمة بدون حياة!!

فـي الغد تفاجأ المرشدة بأنَّ (حياة) عـادت لمدرستها القديمة بناءً على طلب أسرتها!!

نجلاء!!

obeikan.com

obeikan.com

دلفت المكتب برفقة معلمتها التي أبدتْ عزوفها عن مشاركة زميلاتها الدرس والتحصيل، وقلة اهتمامها وضجرها على غير العادة! تركتها المعلمة وقفلت راجعة إلى فصلها.

تفتر عنها ابتسامة باهتة، بل تحمل غرابة!!

داعبتُها كعادتي مع الصغيرات وشرعت أقصُّ عليها حكاية...

فلا تكاد تبدي إلا تلك الابتسامة الهادئة التي ما لبثت أن أفلتْ بعد أن وصلنا إلى أهم فصول الحكاية!!

عينٌ ترقبها، والعين الأخرى يسكنها القلق والحيرة!!

ترى؟ لماذا لم تندهش؟! ولم يبدُ على مرآة وجهها أدنى مراتب الإنصات؟!

obeikan.com

أهزها بلطف بعد أن شعرتُ أن تلك الغمامة تكاد تمطر دموعاً ويغرق فيها الكلام!!

لم نكمل القصة! فالمقطع الأخير ظل منقطعاً، بل معلقاً!!

أريدها أن تهزني، وتلح علي وتطلب مني إكمال فصولها!

ولكن نجـــلاء.. لم تفعل!!!

«نجـلاء... نجـــلاء»... أردد اسمها فكأن الأمر لا يعنيها!

ترى.. هل نطقت بمـا جرحها؟ أو بما آذى أحاسيسها؟ أم أن القصة تذكِّرهـا بموقفٍ لم يكن عابـراً في حياتها؟!

كانت القصة عن العصافير.. وعن الاستيقاظ باكراً..

وفرحـة تلـك الطيـور بالنـور.. ونشيدهـا، وتغريدهـا بأعـذب الألحان...

وذكرتُ أن أحدها طار بعيداً، فافتقده أصدقاؤه!

تعبـث نجلاء بشعرهـا تارة، وتارة أخـرى، تقضم أظافرهـا!! وتفرج أصابعهـا، وتتأملهـا، تارات عديدة.

أصغـي إلـي يا نجـلاء! سأكمل القصـــة، سيعـود العصفور محملاً بالأخبار السارة وسيقصُّ على أصدقائه رحلة الاستكشاف...

«نجلاء، نجلاء»... سيعود العصفور... اسمعي بقية القصة.

ما هذا الخمول، واللا مبالاة؟! لـمَ لـمْ تشدها القصة؟! إنها ممتعة!

«نجلاء، نجلاء» أهزها بلطف...

عندها.. بزغت تلك الابتسامة الحائرة.. وفجعتني تلك النظرة الشاردة..

هل تشعرين بألم يا «نجلاء»؟ أم أصابك الملل من سرد القصة؟ إنها جديدة!

هذه المرة عن العصافير، والأخرى عن الفراشات...

فأنتِ العصفورة والفراشة...

أنتِ كل الطيور المحبوبة والمألوفة والبريئة... أنتِ الكناري والبلابل...

هيا، أَسْمِعِيني شدوك وتغريدك... أم نتابع القصة؟

رفعت «نجلاء» بصرها نحو هذا الجسد الماثل أمامها، وهذا الفم الذي لا يزال يتكلم أو يثرثر!

وكأنها تقول: توقفي عن الكلام، كفي عن الحديث!!!

بيد أنها لم تفعل! لأنها تعلم أن ذلك الجسد بداخله كهفٌ من الدفء والحنان والأمان...

فهي تقترب منه رويداً رويداً، وتصطدم بكل الصخور الخارجية لتختفي في دهاليز الشرايين.. والأوردة..

فجأة: ترفع يدها نحو أذنيها لتعلنَ بصمتٍ، وحيرةٍ، وألم، أنها في هذه اللحظة لا... تسمع!!

تُخرِجُ من أذنها جهازاً وتشير إلى أن البطارية قد استنفدت طاقتها!! فتعطلت لغة الاستماع و.. الكلام!

وبقيت لغة لا تحتاج إلى وسيلة!

إنها لغة الحب والتفاهم بين تلميذة في الصف الأول الابتدائي وبين مرشدتها في المدرسة!!!

obeikan.com

الوجه
الجميل!!

obeikan.com

obeikan.com

هذا اليوم، هو من الأيام المتعبة لكل موظفات المدرسة.. على الرغم من التهيئة المسبقة له! إلا أن تصنيف التلميذات المستجدات يُعتبر من أصعب الأيام التي تواجههن! لعدم الاعتراف بمبدأ المقابلة الشخصية للتلميذة، ومعرفة جوانب شخصيتها الإيجابية والسلبية، فيكون التصنيف عشوائياً..

تُساق التلميذات المستجدات أمام معلمتهن أو خلفها! حسب ذوق المعلمة!! وكأن المهم أعداد التلميذات... فلا يزيد فصل (أ) عن (ب) مهما كانت الظروف إلا في ظرفٍ واحد هو مساحة الفصل.. وتعيش الإدارة لحظات الحيرة حين تزيد عن القسمة تلميذةٌ واحدة، فالواحد لا ينقسم على اثنين! فما بالك حين يكون ثلاثة أو أربعة.. أعني بذلك الفصول والتلميذات!! وحين تقتنع إحدى المعلمات بقبول الزيادة فيكون

obeikan.com

الوعـد بالقـادم أو بإغراءات أُخرى ربما تزيد بكثيـر عن حجم التلميذة أو الفراغ الذي تشغله في فصلٍ تعليمي يعتمد على التلقين والترديد، والاطلاع على عقارب الساعة في كل لحظةٍ.. وأجمل شطرِ بيتٍ ترددهُ المعلمة ولا تمل سماعه قم للمعلم وفّه التبجيلا! فهو حينٌ موال!! وحين آخر سامري!!

ويتـم الانسجام بصعوبة، وخاصـة عندما تكون تلميذة في فصل (أ) وجارتهـم فـي المنـزل في فصل (ب) وربما ينتهـي التقسيم حسب وجود قرابـة بين المعلمـة والتلميـذات، أو بين التلميـذات فيما بينهـن. وتلعبُ التوصيـات مـن قِبل الأمهـات دوراً كبيراً حين تلجأ الأم إلـى المستخدِمة لتسـألهـا عـن المعلمة الـودود قليلة الحمـل والولادة حتـى لا تضيع على التلميـذة أشهـر الحمل مـن غيابٍ لاستئـذانٍ وما هي عن أشهـر الأمومة ببعيد!!

في نهاية الشهـر الأول من الدراسة تتضح المعالم وتبدأ الاكتشافات من قِبل معلمات الصف الأول فهذه تلميذة غير مبالية بالدرس، لانشغالها بالالتفات نحو زميلاتها أثناء الشرح، لتكتشف المعلمة أنَّها ضعيفة السمع، لذا فهي قليلة الانتباه. ولك أن تدرك حين لا تسمع فلا تستوعب ولن تُبالي وبالتالي لن تفهم!! أما التلميذة التي تُعاني من ضعفٍ في النظر فلها معاناة أُخرى! وقد تتجاهلها المعلمة عندما تجد أنها في كل وادٍ تهيم!!

وتبـدأ معانـاة من جديـد، فتعود لسجلهـا الصحي لتجـد أنه صورةٌ مكررةٌ مـن كل سـجل ويحمل عبـارةً واحدة (لائقة للدراسـة) دون قيدٍ أو شـرط! ويُقصـد بالقيد أو الشـرط نظارة طبيـة أو سماعة لضعاف السمع.

وكثيراً ما تحمل التلميذة مشكلتين صحيتين أو أكثر، فهي ثقيلة السمع وضعيفة البصر وشيء آخر!! وقد يكون العدد كبيراً ممن يحتاجون إلى رعايةٍ صحيةٍ أو اهتمام أُسري. وتصطدم بصخرة عدم تعاون الأسرة وبالأخص ممن لديهم عدة أطفال يعانون قصوراً في بعض الحواس..

وتذهلك تلك الوجوه في الصف الأول الابتدائي فهنَّ لا زلن يعايشن الغربة وسط حشدٍ هائلٍ من التلميذات لا سيما صاحبة ذلك الوجه الجميل، ليس بتقاطيعه فحسب بل بجمال البراءة البهي! حتماً لقد رأيتموه ذات مرة في شخصٍ ما.. أو عدة أشخاص يبدو ذلك الوجه الجميل فتظهر معاني الحب بمعناه السامي المحلق في أجواء الإنسانية، وتبدو الروح السلامية! تلك الروح التي لا تحمل في جوانحها الحقد والحسد واغتيال حقوق الآخرين!!

تشعر وأنت أمام ذلك الوجه بالطمأنينة التي تدفعك للعطاء بلا حدود، فلا يكاد يمنحك فرصة الاعتداء بالمقاومة!! إلا أنك لا تلبث أن تقف وتتراجع وتتقهقر بكل فزع، فهذا الوجه مع ما يحمله من براءة إلا أنه يتهمك بالظلم حين يقول لك إنَّ مكاني ليس هنا! بل هناك في موقعٍ آخر قد لا يبعد عدة خطوات عن هذا الموقع! إلا أن فلسفة ذاك المكان تختلف عن هذا!

هناك احترام لإنسانية ذلك الوجه الجميل!! وهنا عدم إدراكٍ لأبعاده!

هذه الفئة أصحاب الوجوه الجميلة يوجهون سهامهم البلاستيكية التي لا تحمل حولاً ولا قوةً، يوجهونها للمسؤولين فهم بحاجةٍ إلى من يتعرف على ما يمتلكون من إمكانيات رغم ضآلتها!

هـا هـي أيديهم تمتـد لا لتستجـدي العطـاء لكنها تطلـب المساعدة المعنويـة والتوجيـه الصحيـح للمسـار الـذي يناسـب قدراتهـم ويحقق أهدافهـم، وهم على الرغم مـن المرحلة الوسطية التـي يعيشونها إلا أن وجودهـم في هـذه المنطقة يجعلهم لا يستفيدون مـن الخدمات المقدمة للأشخاص العاديين، أو الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة. فهم حقاً ذوو الظـروف الخاصـة تعليميـاً.. إنهم بطيـؤ التعلم ممـن يحتاجون إلى مضاعفة الوقت والجهد والإدراك لإمكاناتهم المحدودة وإعادة المحاولة تلو الأخرى.

ولـم يُظلموا هـم فحسب! بل حتى معلماتهـم، فالمعلمة التي لديها ما يربـو على ثلاثين تلميذة يختلفـن في السـمـات الشـخصية والمستوى الإدراكـي إضافـة إلـى بطيئـات التعلـم لـذا لا بـد من تهيئـة الجـو الدراسـي للمعلمـة بحيـث تُمنح أفضليـة على زميلاتها حيـن تكون من ضمـن تلميذاتهـا واحدة من فئة بطيئـات التعلم لتمنحهـا الوقت الكافي لمثل حالتها.

ولـو أنه ينبغي العنايـة بهم ابتداءً من الكشـف الطبي الدقيق عليهم قبـل دخولهم المدرسة وتوجيههم إلى الأماكن المناسبة لحالتهم أو شرح للحالـة بـكل مصداقية حتـى تتمكـن إدارة المدرسة من تهيئـة الظروف والإمكانيـات لمثل حالتهم. على الرغـم أن وجودهم في المدرسة يُشعرك بإنسانيتك الحقة حين تخفض لهم جناح الرحمة وتقدم لهم المنشود من التسهيلات فتمتلك قلوبهم الذهبية.

كثيـراً ما حضـرت (غادة) ووقفت أمام باب مكتـب المرشدة مُنكِّسَة الرأس تشكو اضطهـاد زميلاتها حين يطلبن منهـا مجاراتهن فلا تقدر

فيضحكن ويسخرن!! ويزداد الألم عندما يقسو عليها المنهج الدراسي فلا يتيح لها فرصة اجتيازه، والنجاح نهاية العام الدراسي، ويتكرر ذلك كل عام! فتكون كالميناء ترسو به السفن وما تلبث أن تغادره ليستقبل مراكبَ جديدة!! فالوجوه تتغير فما أن تعتاد عليها وتأنسها إلا وتغادرها إلى فصلٍ أعلى وتبقى في أول السلم تودع المغادرين وترحب بالقادمين بابتسامةٍ حزينةٍ! ولك أن تتصور شكل هذه الابتسامةِ حيث تبدو على صاحبة الوجه الجميل.. وتعتاد الوضع إلا أن مطرقة النمو الجسمي تقرع سندان الواقع فتكون التلميذة الوحيدة في الفصل التي تفوق زميلاتها في الطول، فتركنها المعلمة في آخر الفصل في مكانٍ منزوٍ.

وفي هذه الأثناء أصبحت (غادة) تتردد على مكتب المرشدة بسببٍ وبدونه وحين تدعوها للجلوس تتكوم على الكرسي وتنظر من خلف نظارتها السميكة وكأنها تُشكِّلُ حاجزاً بينها وبين من حولها.. تُلقي بيدها الجافة على حافة المكتب فتتناول المرشدة أُنبوب مرطب البشرة وتضع قليلاً منه على أطراف أصابع (غادة) وتطلب منها إشباع يدها بالكريم فتقوم بالدور بكل مثابرة لقد أصبحت يدها أكثر نعومة. وعندما تسمع قرع الجرس تبتسم تلك الابتسامة المصحوبة بالعرفان والشكر، وتنصرف إلى فصلها.

ولأنها لا تشعر بالانسجام مع زميلاتها صارت تُحضر فطورها لتتناوله في مكتب المرشدة، ولمَّا وجهتها إلى غسل يديها وتنظيف مكانها بعد الانتهاء من الأكل، ومراجعة السورة التي حفظتها، وترديد الأنشودة التي أعجبتها أصبح ذلك نظاماً لديها لا سيما حين وفقت بالمعلمة القديرة منى التي قامت بجهدٍ مضاعفٍ أكثر مما هو مُناط بها حتى أينع الثمر!!

ذات يومٍ.. في صباحٍ مشرقٍ تقف المعلمات أمام التلميذات في طابور الصبـاح يلقين عليهن التحية كعادتهـن. وتصطف المعلمات جميعهن ما عـدا الأستـاذة (منى) تحضر متأخـرة على غير العـادة وتتوجه بسرعةٍ للوقوف خلف صفِّها.. إلا أنها تتعثر في حقيبة إحدى التلميذات وتقع على الأرض ... فجأة تنطلق (غادة) كالسهم نحو معلمتها تمد إليها يداً وتفتح حقيبتهـا باليد الأخرى، تستخرج أُنبوب الكريم وتدعك قدمَ معلمتها وهي تتفرس في وجهها ... وتتساءل بصمت عن مدى الإصابة!!

جميل ذلك العرفان من صاحبة الوجه الجميل!!

و
مهامُّ أخرى!

obeikan.com

obeikan.com

تدلفُ تلميـذةٌ للمدرسة تحملُ حقيبتها خلفَ ظهرها، في توريةٍ لجعلِ العلـم خلفنـا! ونحنُ أمـةٌ طالبنا القـرآنُ بالعلم فـي أول آيـةٍ أُنزِلتْ على نبينا!!

تقفُ التلميـذة (لمياء) أمام البوابةِ في محاولـةٍ لاستعادة الأنفاس، ومـا تلبـثُ أن تضـعَ الحقيبة علـى الأرض لتُحـدِثَ ارتطامـاً فيسيلُ منها ينبـوعٌ من.... المـاء! وكنتُ أخالُ ذلـكَ علماً لولا أن العلـمَ لدينا لا يسيلُ بـل يقطر! أو أنه بمعنًى أدق «يندى» كما يندى جبينُ من اعتـادَ المعصيةَ بتكرارها!!

أجـل! إنَّ مـا سال مـن حقيبة التلميـذةِ كمية من المـاء! اعتادت أن تحضـرَهُ من منـزلها في (حافظةٍ) تحفظُ برودتـه على الرغم من أن في مدرستها ما هو.. أبردُ منه!

ترفـعُ (لمياء) حقيبتها عـن الأرض وتستخرجُ منهـا محتوياتها من دفاترَ وكتبٍ و.. فطيرةٍ صغيرة.. وقد ابتلتْ جميعها بالماء.

فـي هذه الأثنـاء تدخـل إحدى المعلمـات مع نفـس البوابـة، تتأبط حقيبتهـا وتحملُ في يدهـا اليمنى كيساً كبيـراً، وفي الأخـرى كيساً أكبر منه قليلاً، وهي تستحـثُ ابنتها للدخول واللعب مع التلميذات لحين سماع الجرس!! وفي التفاتةٍ سريعـةٍ تجد تلك المعلمة صاحبتَنا (لمياء) تجففُ حقيبتهـا من الماء المنسكب داخلهـا بعد أن تعرضت الحافظة للكسر من جـراءِ ارتطام الحقيبة بالأرض تدعو المعلمـة (فدوى) التلميذة (لمياء) إليها وتسلمها الكيس الكبير!! واختصاراً للوقت لا للجهد تسلمها في يدها الأخرى الكيس الأكبر وتطلبُ منها إيصالهما إلى غرفةِ المعلمات!!!

تحمـل التلميذةُ الكيسين، وتجدُ أن اليدَ اليمنى أقدرُ على حملِ الكيس الكبيـر، إلا أن يدهـا الصغيرةَ لم تتحمـلْ مسؤوليةَ الثقـل فهي في حركةٍ تبادليةٍ بين الكيسين!!

ربما تصدرُ منكَ نظرةُ شفقةٍ حين ترى التلميذة وهي تضع الكيسين علـى الأرض وتنفـخُ في يديها لعل الاحمـرارَ المنتشرَ فـي أرجاء راحتيها يتلاشـى كمـا تلاشت ابنـة المعلمة بين جمـوعِ التلميـذات!! ولكنكَ حتماً ستشعـرُ بالحنـق حيـن تعرف أن هـذه التلميذة لـم يتجاوز عمرهـا تسعَ سنواتٍ، وابنة المعلمة التي حدثتك عنها تلميذة في الصف الخامس!!

أمـا حين ترى (لمياء) وهي تقومُ بسحبِ الكيسِ بعدَ أن أعياها التعب فستتحولُ نظراتُ الشفقة والحنقِ إلى نظراتِ قهر!!

أمـا التلميذة فنظراتها أسًى وحسرة لأنها تعرضتْ للوقوع، وهي تجرُّ الكيسيـن عبر الدرج المؤدي إلى غرفـة المعلمات! وتكرر مشهد الارتطام مـرة أخـرى ولكن هذه المرة لـم ينسكب الماء بل انسكـب الأكل!! وطعام الإفطـار اليوم مـن مسؤوليـة المعلمة (فـدوى) وقد امتزجـت محتويات الأطباق مع بعضها مشكِّلةً طبقاً آخرَ غير ما هو معد مسبقاً!

ألا يحـقُ لـ (لميـاء) أن تقلبَ بصرها فـي الكيسين فيعـود البصرُ محملاً بالأسى.. والقلبُ مثقلاً وممتلئاً بالحسرة؟!

ويقرع الجرسُ، ترتبـك التلميذة، تقابلها حشود المعلمات وهي تقبعُ بالـدرجِ قدمها اليمنى علـى الدرجةِ الثالثة واليسرى فـي الدرجة الثانية! تحـاول أن تهـرب... لـولا أن المعلمـة (فـدوى) تقابلها وكميـة من الأكل تسيـل على الـدرج تُشكِّلُ شلالاً يعبـقُ بالروائح!! فتمطرهـا المعلمةُ بوابلٍ مـن الصراخ.. وتنعتهـا بالغباء... تجتمع المعلمـات حولها!! وهن يوجهن اللومَ والتوبيخَ لهذه الصغيرة.. في هذه اللحظة تتمنى (لمياء) لو تستطيع الذوبان داخل الصواني!! لو تتحول إلى «حبـة فولٍ» أو قطعةٍ من «الجاتوه»! ولم تعلمْ (لمياء) إنهـا أغلى من «الفـول» وأحلى من «الجاتوه»!!

إنهـا التلميذة التـي حضرت للمدرسـة لكي تتعلم وحُشِـدَتْ الجهودُ مـن أجلها، ووُظِفَتْ هذه المعلمة وزميلاتهـا لتعليمها.. لا لتحملَ أغراضَ المعلمةِ ووسائلها، وإفطار المدرساتِ وملحقاته!!

وحيـن تشجـب مثلَ هـذه الأمور تُذكـرُك المعلمـات بالكسائي وابني الخليفـةِ هـارون الرشيـد حيـنَ يهـبُّ كلٌّ منهمـا لإحضار حذائـه!! وأين نحـن والكسائي؟! لم يطلب (المربي) الكسائي مـن الأميرين أن يحضرا

الحـذاء، بل هو امتنان منهمـا بجميلِ صنيعه معهمـا أرادا أن يخدماه ثمَّ إن الإنسـان أولى بحمل ما يخصهُ سيما حين يكون ليس بمقدور الشخص الآخـر حمله... وهذا عمر بن عبد العزيز «أميـر المؤمنين» يقومُ بإضاءة السراجِ بنفسه ويعود لمكانه وهو عمر كما ردَّ على جلسائه!!

وحيـن نطالب بعـدمِ حمل تلميـذةٍ واحدةٍ جميع الدفاتـر والكتب من الفصـل وحتى مكتـب المعلمة تضجُّ المعلماتُ بالشكـوى وينعتن ذلك بأنه بـابٌ مـن أبواب تدليـل التلميـذات! ولا يعلمن أنـه من الجميـل أن تحمل التلميـذات دفاترَهـن إلـى مكتـب المعلمـةِ لتصحيحها والاطـلاع عليها ومساعـدة معلمتهن في ذلك إلا أنه لا بدَّ من تقسيم الأعدادِ على أكثرِ من تلميذةٍ ليكون أجمل مفهوماً وأخفَّ حملاً، ورمزاً للتعاون..

كـم بقي لديكَ الآن من نظرة؟! بعد نظـرات الشفقة، والحنق، والقهر، حين تعلم أنَّ المعلماتِ لا يمكن أن يكلفن التلميذاتِ ممن أمهاتهن معلمات في نفس المدرسة بحمل أي أغراضٍ لأن أمهاتهن «المعلمات» يرفضن ذلك!!

أما (لمياء) فلا نوائحَ لها! فحقيبتها لازالت تقبعُ أمامَ بوابةِ الدخول!

هنا كتابُ القراءة.. وهناك كتابُ الرياضيات..

وما زال الماء يندى من حقيبتها...

يا (لميـاء) من حقِّكِ أن تضعـي حقيبتَكِ خلفَ ظهـرِك!! فأمامك في المدرسة حمل طعام الإفطار لمعلماتك.. واستبدال أسطوانة الغاز الفارغة!! وغداً هو من نصيب المعلمة (سهام) انتبهي أكثر حين تحملين الأكياس..

فالمعلمة (سهام) لا تستخدم صوتها في التأنيب..

بل تستخدمُ يدها للتأديب.. فالصوت... للشرح.. فقط!!

وغابت
شمس أحلام!

obeikan.com

obeikan.com

لــم تعتد أحــلام الغياب عــن مدرستها، فهي تحــب الحضور اليومي للمدرسة ولقاء زميلاتها، ولم يكن غيابها هذا اليوم بسبب مرضها، حيث اعتــادت أن تحضر وتقــاوم المرض، وفي كل عام تستلــم شهادة الالتزام بالحضور اليومي وهدية قيمّة!

لــم تكن وحدهــا التي تغيبــت بل شقيقتاهــا الصغيرتــان، حيث كن كالشمس يشرقن في المدرسة خُلقاً، وذكاءً، وأدباً!!

استيقظــن فجــراً.. أدت أحــلام الصــلاة، وانتظــرت طويــلاً فــي سجادتها.. لــم تستعجل في صلاتها كالعادة! لتلحــق بالمدرسة.. وحين قضــت الصلاة التقت العيون الست في لحظــة واحدة وفهمت أحلام تلك النظــرات! نعم، الغياب اليوم كان بسبــب ضيق ذات اليد! وعلى الرغم أن والدهــا ذو وظيفة مرموقة ويشار له بالبنان بيد أنه ابتلي بتبذير المال في أوجــه غيــر شرعية!! وحين يحــل منتصف الشهر تجد الأســرة نفسها في

obeikan.com

وضعٍ حرج!! ولا أخاله يجهلك وضع زوجة صابرة محتسبة، لم يقدِّر زوجها المسؤولية التي أُلقيتْ على عاتقه! تلك المرأة والدة أحلام وأخواتها لم تشأ أن تذهب بناتها للمدرسة دون نقود لشراء ما يُباع في اليوم المفتوح! وما أدراك ما اليوم المفتوح في مدرسة وضعتْ شعارها التربية أولاً!! فاليوم المفتوح في مدارس البنات بعيدٌ عن التربية، قريبٌ من العبث.. حيث بعض المعلمات يرتدين ملابس أشبه بحلل الحفلات، وما يصاحبها من أصباغ على الوجوه وعطور تعبق في أرجاء المدرسة!! وقد أحضرن حافظات أطعمة تحوي أنواع المأكولات! جزء منها للبيع على التلميذات كالبليلة والذرة المنفوخة، عدا البطاطس المقلية، وجزء خاص بالمعلمات تقرره برودة الطقس أو حرارته!! أما الإكسسوارات فما يُشترى من السوق بريال يُباع بخمسةِ ريالات وما يُباع بخمسة في المحلات فهو في المدرسة بعشرة! والكل يدفع بدون جدال.. أليس يوماً مفتوحاً؟!!

وحذار أن تُحضر التلميذة نقوداً قليلة!! وليس أقل من مائة ريال، العصفور بالقفص سعره عشرون، والأرنب بثلاثين ولا يكادان يعيشان طويلاً بعد البيع. أما الحلويات الملونة وما في حكمها فقد تم استئجار آلة صنع حلوى القطن من إحدى مدن الألعاب، وتقوم بالعمل عليها إحدى المعلمات التي طالما حذرت تلميذاتها من خطورة هذا النوع من الحلوى بالذات!! ولعلك تعجب حين ترى التربويات في ساحة المدرسة يحرِّجن على بضائعهن (كلٌ فيما يخصها) حسب التعميم الصادر من مديرة المدرسة بدون رقم أو تاريخ!!

ولا يكتفى بالبيع فحسب بل إنه بدعوى الترفيه عن التلميذات من الملل بسبب غياب المعلمات المتكرر فإنه يتم التعاقد مع اختصاصية (الحنا)

لنقش أنامل الصغيرات في باطن الراحة وظهرها، كما يعمد إلى صبغ وجوههن بالألوان للأشكال الكارتونية المختلفة فهذه وجهها يرسم كالقط وتلك.. كالأسد، ولا مانع من رسم وجه الفأرة! فاليوم مفتوح!! ومما يحز في النفس أن التربويات اقتصاداً في التكاليف يمارسن عملية التشكيل على الوجوه بأنفسهن!!

وقد تشفق على الصغيرات وهن يقفزن على (النطيطة!!) ولمن لا يعرفها! فهي عبارة عن غرفة بلاستيكية مملوءة بالهواء، بابها وجدرانها الأربعة مصنوعة من الشِبَاك يحشر فيها حشدٌ من الصغيرات بعد أن تدفع كل واحدة خمسة ريالات لخمس دقائق فهن يتزاحمن ويسقطن على الأرض ويدوس بعضهن البعض بيد أنهن لا يبكين كالعادة بل يضحكن بهستيريا مؤلمة وحولهن (معلمات الأمن والسلامة) يرتشفن القهوة مع قطع (الجاتوه) ويتبادلن الطرف والتعليقات على هؤلاء الصغيرات وهن يتدافعن ويصرخن!!

ولا تستغرب حين تجد كل معلمة قد أحضرت أسرتها معها عدا الزوج طبعاً فالأطفال الذكور حتى سن العاشرة والشابات والخادمة وجارتهم القريبة وقريبتهم البعيدة.. فلا مانع من الحضور مادام الجميع سيشتري وتزداد جملة المبيعات!

أما الإدارة... !! فهي غارقة وسط مجموعةٍ من النقود، فهذه خمسون ريال أُخذتْ من تلميذةٍ لم يكن والدها مقتنعاً بهذا الأمر ولكنه لا يود أن تكون ابنته أقل من غيرها! وتلك عشرة ريالات سقطت من إحدى الصغيرات وهي تتدافع مع زميلاتها، وحين لم تجدها ذهبت للمعلمة

لتخبرهـا بفقدهاالنقود فواجهتها بالزجر والإبعاد قبـل أن تتم الصغيرة شكواهـا! أما بقية النقود (من فئة العشـرات والخمسات) فكل واحدة لو تكلمتْ لقالت الكثير!!

ولـو سألتَ عـن الغرض مـن تجميع النقـود لأعلمتك بـأن واحداً من الأهداف هو صبغ أحد جدران المدرسة بلوحةٍ زيتيةٍ بألفي ريالٍ أو تزيد.. وحين لا تروق الألوان للإدارة تغيرها... وتغيرها.. وتعيد صبغ الجدار طلباً للوحـةٍ أجمل!! وما أكثر جدران المدرسة!! ولا يزال الجدار يُصبغ والنقود تُدفع .. وتُجمع!! طالما كانت أيدي التلميذات تخضب، وتنقش، ووجوههن ترسـم بأشكال وجه القط والفـأر!.... والنتيجة آخر العـام.. ضعفٌ عام فـي مستوى الطالبات... وربما كانت الأصباغ بتلك الأشكال كما قد غيرت معالم الوجوه فقد أثرت على مستوى العقول!!

* * *

في ذلك اليوم لم يشعر أحد بغياب أحلام وشقيقاتها...

ولـم يتـم اتصـال الإدارة كالعادة علـى أسرتهن!! وزميـلات أحلام لـم يفقـدن وجودها بينهن.. فلم تكن زميلاتها بحاجـة إلى استفسار عن الواجب الذي لم يؤدَ كالعادة في المنـزل!!

وأي واجب؟! وأي استذكار؟!

وهل هناك معلمة دخلت الفصل لتلقي الدرس أو تسأل عن الواجب؟!

بل.. أي تعليم.. وأي تربية؟؟ فاليوم مفتوح!!

في الغد كان غياب الطالبات مثيراً للدهشة...

وحين الاتصال بأسرهن تبين بأن سبب غياب بعضهن آلام في الأرجل والرقبة.. وبعضهن أوجاعٌ في البطن ونزلات معوية.. والبعض الآخر بسبب حساسية في الوجه...

أما المعلمات فكافأن أنفسهن بالغياب عن جهد الأمس!

* * *

وحدها أحلام، نجحت في آخر العام بامتياز وتفوق باهر.

بينما لا يزال وجهها مشرقاً... منيراً...

ليس لأنه لم يلطخ بتلك الألوان والأصباغ...

بل لأنها اعتادت منذ ذلك اليوم (المذبوح) أن لا تستعجل في أداء الصلاة، فهي بها في حالة خشوع، وقبل أن تصلي الفجر تسبقها بالسنة، وتتبعها بالدعاء أن يهدي والدها وينير طريقه للرشد... ويحفظ والدتها، ويمنحها الصحة... ويعينها وأخواتها على الاجتهاد في دروسهن في الصغر، وعلى حمل الأمانة واستشعارها والثبات على الحق في الكبر!

وما أدراك
ما السلوك؟!

obeikan.com

obeikan.com

تدخل معلمة مادة السلوك الفصلَ.. بعد مرورِ نصف قرنٍ على التعليم النظامي في بلادنا.. أصبحنا نتعلمُ السلوكَ «كعلمٍ» وليس مبدأ! لم تُفد تلك الدروسُ والمواد والمناهج، لذا كانت الاستعانة بمادةٍ منفصلة.

بعد دخول معلمة مادة السلوك في بداية الفصل الدراسي الثاني وبأولِ حصةٍ تُفاجأ بمجموعةٍ من طالبات الصف الثالث يدخلن الفصل وكأنهن في سباق (ماراثون) وبعد استرداد الأنفاس تنظر لهن المعلمة باستغراب، ألم يعودهن أحدٌ قط على كيفية الاستئذان بالدخول للفصل، والاعتذار عن التأخر عن حضور بداية الدرس؟!!

تذكرت أنها معلمة مادة السلوك فلا بد أن تتحملَ تعليمهن كيفية السلوك الحضاري.. إنها مسؤولةٌ عن ذلك!! حين شرعتْ في إعداد الدرس وهو عن آداب المائدة وجدتْ أن بعض الفقرات المهمة لم يتطرقْ لها (صانعُ السلوك) عفواً مؤلف مادة السلوك!كيف؟! وهل السلوك يؤلف؟!

obeikan.com

تـرى أين دور الوالدين؟ أين دور معلمة الصف الأول والصف الثاني؟! ولأننا مجتمعٌ حضاري فلنسأل أين دور الروضة والتمهيدي؟!

ولنتابـع.. أيـن دور وسائـل الإعلام؟ وأخـص منـها التلفزيـون!! ألم يتعلـم أبناؤنا من أفلامـه المدبلجـة إلا: اُغْرُب عن وجهي أيهـا اللعين.. أيهـا الغبي.. أيها.. !! والتي يرددها أولادنا فنبتسمُ جذلاً لذكائهم وسرعة حفظهـم!! وإن كنا كالعادة نرمي بكرتنا في ملعـب الآخرين ليتحملوا عنا مطاردتها!!

نعـود لصاحبتنـا معلمة السلـوك كما تُسمـى في المدرسـة! وقبل أن تبـدأ في شرح درس آداب المائدة قامت بمراجعـة التلميذات عن كيفية الأكل والشـرب فوجـدت أن أهمَّ ما تعرفه الواحدة منهن هـو أنها تأكل.. فحسـب! باليـد اليمنى أو اليسرى، تغسل اليديـن أو لا تغسلهما، متى تبدأ ومتى تنتهي؟ وماذا تقول قبل وبعد؟ كل ذلك يخفى على أغلبهن وكأن دور الأسرة هو إحضار الطعام وملء المعدة أو حشوها، لا يهم!!

تُرى ماذا يهمُ إذاً؟!!

هـذا نموذجٌ من درسٍ في منهج السلوك لأحـد الصفوف الابتدائية، وما خفِيَ أظلم!! من الظلام وليس الظلم الذي نقترفه بحق أبنائنا ... ولا نعلم أنه لابـد أن يتعلموا بعض السلوكيات المصاحبة للعلم قبل أن يبدؤوا فـي قراءة الحروف! فالعلمُ سلوكٌ والأكلُ سلـوكٌ والكلامُ سلوكٌ والتعاملُ مع الآخرين سلوك.

وحيـن نحتجُ على وجودِ مـادةٍ للسلوك في الصفوف الأولية الابتدائية فنحن نُطالبُ أن يكون السلوك ضمن مادة القرآن الكريم والتوحيد والفقه

والقراءة وحتى في الرياضيات! لابد أن يظهر السلوك القويم في الحساب ضرباً وقسمةً وجمعاً وطرحاً. ومنها يتعلمُ أبناؤنا أن الإنقاصَ من حقوق الآخرين سرقةٌ وبخسٌ لهم، والزيادةَ نفاقٌ واستدراج! ولنا في سورة المطففين أكبرُ مثالٍ على نهج السلوك القويم في الوزن والحساب من زيادةٍ ونقص ومن يُخسر في ذلك فله العذاب الأليم..

ولابد أن يتعلمَ أبناؤنا السلوك الصحيح في كلِّ مجال، وإن أردتم الحقيقة فينبغي أن يكون المعلم أمامه يمثل السلوك القويم سواء كان معلم الدين أو الرياضيات وبقية المواد!! لِمَ لا تكون الأمثلة في مادة القواعد أو الإملاء تدعو إلى السلوك السوي وتمقت السلوك السيئ وكذلك مادة الاجتماعيات والعلوم التي تشمل الكيمياء والأحياء والفيزياء، فتحضير المحاليل والأدوية يجب أن ينطوي على سلوكٍ سويٍ حتى لا تضر بالبشرية، كما أن اختراع الأجهزة لابد أن يكون لإسعاد الناس وعلاجهم قائمٌ على سلوكٍ ينتهجه الأطباء ويعرفونه تماماً. وكذلك في علوم الإدارة والتجارة قرينهما السلوك الصحيح. أما العلوم الاجتماعية والنفسية فتدعو إلى السلوك الصحيح في كلِّ فرعٍ من فروعها. بل إن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. قد لا يكون الخطأ في المنهج بقدرِ ما يكون فيمن يُطبق هذا المنهج، وحين يتمُ اختيار معلمةٍ لتدريس السلوك بمعاييرَ دقيقةٍ فهذا أمرٌ ننادي به، ولكن هل يُكتفى بمعلمةٍ واحدةٍ لتدريس السلوك؟ أم يحتم أن تكون كلُّ معلمةٍ قدوةً لتلميذاتها، وإن لم تدرس السلوك كمادة!

أمـا معلمة السلـوك التي استهجنت دخول التلميـذات عليها بطريقةٍ غيـر منظمةٍ فقد بـدأت في تعليم الصغيرات كيفيـة الاستئذان والطريقة الصحيحـة للأكل والجلوس، وكل ما يتعلـقُ بالسلوكيات الإيجابية، وكانت مثـالاً للقدوة الحسنـة، فأنت تميـزُ تلميذاتها بالصبغة التـي اتسمت بها شخصياتهن، ويأتي ثناءُ أُسرِ تلميذاتها صدًى لتعاملها معهن ويكاد يصفقُ قلبُك تحيةً لجهودها.

* * *

قبـل نهايـة العام الدراسـي رأت إدارة المدرسةُ أن تقيـمَ يوماً مفتوحاً تُغيِّـر فيه من اليوم الدراسي (المُمِل!) وتُدخل البهجة على نفوس التلميذات. وتبـدأ حفلة اليوم المفتوح بالقرآن الكريم كعادة كل احتفال! ثم أعقبته فقرة الأهازيج الشعبية التي تفاعلتْ معها الصغيرات والتهبت أكفهن من التصفيق فرحـاً وقامت بعض الصغيرات بالرقص تـارة بتحريك أجسادهن الصغيرة وتـارة بنفـض شعورهـن بالهـواء وهن يـرددن أهزوجـةً شعبيـةً دخيلة على مجتمعنا المحافظ والتي عفى عليها الزمن وهن يعتقدن أنها من التراث!!

وكانت كلمات الأُهزوجـة لا تتناسب مطلقاً مع مكانة المدرسة كمعقلٍ تربـوي وتعليمي بل تتنافى حتـى مع الذوق العـام والآداب الإسلامية التي تدعو إلى الفضيلة..

تفاعل الجميع إلا القليل مع الإيقاع السريع والدفوف وانجذبت أفئدة الصغيرات إليه، ومما زاد الإسفاف والتمادي في الرقص أن قامت إحدى المعلمـات وبصوتهـا العالـي وعبر (المايكرفون) بترديـد إحدى عبارات الأهزوجة واختارت أسوأ مقطعٍ فيها!

وانتهت (الوصلة) بامتعاض البعض وبتصفيق الباقيات وتصفيرهن!! وانفض الجميع بعد نهاية الفقرات!! وفُتِحتْ بوابةُ المدرسة إيذاناً بخروج التلميذات من الصرح التعليمي، فتخرج (عبير) وهي تلميذةٌ من الصف الثالث نحو سيارة والدها الذي ينتظرها، وتركب السيارة وتغلق الباب.

تدور عجلات السيارة ببطء.. تتحرك بسرعة.. وتزداد السرعة.. تفتح (عبير) زجاج السيارة.. وحين حاذت سيارةَ زميلةٍ لها، صفرتْ لها: أن شاهديني.. وشعرها يتطاير.. تحركه يميناً وشمالاً تجاوباً مع الهواء!! وتردد بنفس الإيقاع كلمات الأهزوجة.. والأب مندهشٌ من تصرفِ ابنته!! لذا فقد نهرها.. وحين وصلوا المنزل.. عادت (عبير) تتقافز وهي تردد تلك العبارة المخجلة عينها وتهزُ جسدها الصغير!

وبحركةٍ سريعةٍ يتناول والدها حقيبتها ... يفتحها ...

يستعرض الجدول المدرسي ... ترى ما هي آخر مادةٍ في جدول (عبير) هذا اليوم؟!

إنها مادة السلوك!!

ما أصلحْتِهِ أيتها المعلمة القديرة طيلة فصلٍ دراسي، أفسدَتْهُ في لحظةِ أُهزوجة ... لا بل ... معلمة!!

ليس
حُلُماً!

obeikan.com

obeikan.com

حدَّثتني منْ أثقُ ببراءتها وما تحمله من سريرةٍ صافية تليقُ بطفولتها، وسنوات عمرها الثماني، فهي تلميذةٌ في الصف الثاني الابتدائي...

قالت أنفال: إنه خلال أحد الأيام المفتوحة بالمدرسة والتي تتشوق لها المعلمات والطالبات ومحلات الحلويات والمعجنات والمفطَّحات وقفت أمام غرفة المعلمات الفاضلات وشاهدت أمراً عجباً! وعركتْ له عينيها الصغيرتين وهمست منادية زميلتها «أفنان» لتؤكدَ المرأى! معلمة تشدُّ بيديها ضلعاً من أضلاع الخروف الثَّاوي فوق صحن الأرز في محاولة لاقتلاعه من القفص الصدري ثم تُمسكُ به وكأنها تعزف مزماراً! وما أن شاهدت المعلمةُ الصغيرتين المندهشتين حتى زأرت وطلبت منهما إغلاق الباب!!

obeikan.com

وأحست الصغيرتان بهلعٍ وقامتا بمواربة الباب دون إغلاق لتتابعا الحدث مع محاولة ابتلاع ريقهما بصعوبة وأصعب منه إطباق الشفاه المتعجبة، كل ذلك تمَّ والتلميذات الصغيرات تتعالى أصواتهن في أرجاء المدرسة منذ الصباح، فاليوم مفتوح!

أنهتْ الصغيرة حديثها بسؤالٍ حاد: هل يجوز أكل خروفٍ بالمدرسة؟! ولم تدرِ الصغيرة أنه بالمدرسة يجوز كل شيءٍ حتى الأكل من وقت الدوام!

نعم منظر مجموعة من البشر يلتهمون خروفاً بشراهة ليس بغريبٍ على الصغيرة فقد شاهدت مثله في قصور الأفراح.. لم تكذب الطفلة أو تتخيل الحادثة إلا أنها طوتها في جزءٍ عميقٍ من ذاكرتها تستعيده حين ترى المعلمة تتجشأ في الفصل بعد الفسحة وكأن المدرسة أصبحتْ مكاناً لالتهام الأطعمة الدسمة، فماذا بقي للبيتِ والحفلات؟!

حين نقلتُ تلك الرواية، رواية الضلع المعزوف بسيمفونية التشفي من اليوم الدراسي الطويل كما يُدَّعى! قالت لي إحدى زميلاتي بلهجةٍ نجديةٍ لطيفة: (يا حليلك! أين أنتِ من مديرة إحدى المدارس التي قطَّعت الخروف شرائح «ستيك» و«رِيَش» و«أوصال» وأوقدتْ نارها وبدأت تتفنن في الشواء لذلك الخروف في يومٍ دراسيٍ مفتوح أو مذبوح!! مع بزوغ شمس التخلف على تلك المدرسة المغفول عنها! وحين جاء دور توزيع الجدول.. عفواً توزيع قطع اللحم المشوية كانت من نصيب الموظفات المشجعات لمديرة المدرسة الحضارية غير المعقدة «السمحة» التي سمحت بعزف

الربابـة فـي اليوم المفتوح، أو يوم «الوناسـة» كما يُطلق عليـه!! وكأن أيام العلمِ هي التعاسة!

وحيـن نتحدث عن ذلك فليس حباً في نشـر السـلبيات فلكل مجتمعٍ سـلبياته ولكل قطاعٍ أخطـاؤه، ولكنها الرغبة في الكمـال المعقول وإيجادِ بيئةٍ تعليميةٍ صحيحة وتهيئة السبل المناسبة.

ولا بد أن يلمس المسؤولون هذه الثغرات فيسعون لسدها، وإزالة البثور التـي تشوه وجه التعليـم. وعلى المعايشين للأوضـاع الخاطئة الإبلاغ عن بعض تلك الثغرات حتى لا يتحولون لشياطين خرساء!! والحقيقة أن داخل نفوس البعض منا شياطين خرساء تتكاثر، ونحن نرى بعض المدارس وقد تحولـت إلى محلات كل شيء بعشرة، وبريالين، وبأجزائهما. وأي عشرة تلـك؟ هل المعلمـة بعشـرة؟ أم التلميذة بريالـين؟ أم المبنـى المدرسي أو المنهـج الدراسـي؟ وكل أولئـك يقدرون بكنوز الأرض فهم ملء العين والقلب.

إن المتأمـل في أحوال بعض المدارس بنين وبنات، يرى العجب فقد كانـت المأكـولات سابقاً تحضـر عبر أكياس متعددة من الحلـو والمالح فأصبحت تأتـي للمدارس عبر أسطولٍ من السيارات المتخصصة بالحلو والمالح والغاز والماء!!

لماذا إذا أردنا أن نُعبِّر عن فرحنا بالمدارس أول ما يتبادر إلى أذهاننا الأكل والتفنـن فـي شكله وكميته؟ وكيف تستطعم معلمـة في المدرسة الأكل وليس لديها من الوقت سوى ربع ساعة هـي الفسحة التي من حقها أن تأكل أثناءها فطيرةً صغيرةً فحسب إن لم يكن لديها مناوبة في الفسحة أو مقابلة

المشرفة التربوية. أما باقي الوقت فموزعٌ بين حصصٍ أساسيةٍ وحصصٍ من الاحتياط عن بعض زميلاتها الغائبات! وكيف يحلو لنا الأكل ونحن نرى جيلنا يتهاوى جسدياً وتربوياً وفكرياً أمام أنظارنا، ونحن جالسون نناقش أسباب ذلك متحلقين حول موائد عامرة بالأكل الدسم، وهم مشغولون بأكل شرائح البطاطس المنتنة وشرب المياه الغازية المتخمة بالضرر الجسدي!!

والآن أرجوكم لا تطلبوا شهادة «أنفال» تلك الطفلة التي شاهدت ذلك المنظر فقد نسيت الحدث تماماً بعد أن نعمت بإجازة طويلةٍ مدتها مائة وعشرين يوماً كانت كافية على أن تُنسيها المناهج والمدرسة بأسرها، وحين تحضر فرحاً في إحدى صالات الأفراح وترى تكرار المنظر وتتساءل أين رأته سأقول لها: لقد رأيتِه حلماً ذات ليلة، وستبتسم لتنفرج شفتاها عن لثةٍ ورديةٍ دون أسنان لبنية، وسينطلي عليها الكلام!

ولكن حين نرى نحن الكبار محلات «كل شيء بريالين» أو نرى مطاعم المندي والحنيذ والمشويات، فهل سنقول أين رأينا هذه المحلات؟

نعم! لقد رأيناها في مكان ما ونسينا الموقع!

ولكنه بالتأكيد ليس حُلماً!!